صناعةُ الأَمثالِ عندَ الحريريِّ (ت٥١٦ هـ) في مقاماتِهِ (دراسةٌ أُسلوبيَّةٌ)

Making Proverbs in Al-Hariri (D. 516H.) Stylistic study

أ. د. حقي إسماعيل محمود السامرائي

كلية الإمام الأعظم الجامعة

Assistant Professor : Haqqi Ism. Mahmoud AL -Samarra'i

Al-Imam Al-'Adham University College

ملخص البحث

يتركَّز هذا البحث في دراسة بعض التَّعابير الفنية، الَّتِي ابتكرها الحريريُّ في مقاماته، وأَراد لها أَنْ تسير بين النَّاس، وأَنْ تجري مَجْرَى الأَمثال السَّائرة الموروثة عن العرب، وقد اصطُلِح على تسمية مثل هذه التَّعابير بالأَمثال المصنوعة.

وسيظهر في البحث الفرقُ بين الأَمثال السَّائرة وتلكَ المصنوعة، من حيث الخصائص الأُسلوبيَّة والاعتبارات الَّتِي تقف وراء نشوء كلٍّ منها، وستظهر التَّقنيات اللُّغويَّة الَّتِي اعتمدها الحريريُّ في صناعة الأَمثال، وأَهم الخصائص االأُسلوبيَّة والفنية للأَمثال المصنوعة عنده.

Abstract

This research focuses on the study of some of the artistic expressions that Hariri created in his contexts and which he desired to be well-known among people and to be like those examples inherited from the Arabs. Those artistic expressions were adopted as the made proverbs.

And the research will show the difference between the common proverbs and those made, in terms of stylistic characteristics and the considerations behind the appearance of each of them, and the linguistic techniques adopted by Hariri in making proverbs, and the most important stylistic and artistic characteristics of the proverbs made by him.

المقدِّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ الأَمين، محمد وعلى آله وصحبه أَجمعين.

وبعد؛ فإِنَّ الأَمثال العربيَّة تُؤلِّف ذخيرة لُغويَّة وفكريَّة، حفظتها الأَجيال على مرِّ العصور، وتداولها النَّاس في مجالسهم، وعلى منابر الخطابة، وضمَّنوها أَشعارَهم وكتاباتهم.

والحريريُّ في مقاماته، شأنه شأن غيره من كبار الأُدباء، أَفاد من الأَمثال العربيَّة في تحسين الأُسلوب، وبناء الصُّور الفنية، وإِمداد المقامات بثروة هائلة من أَزاهير الفكر والحكمة.

ولم يكتَفِ الحريريُّ بإِيراد الأَمثال العربيَّة والاستشهاد بها في مقاماته، بل راح يبتكر تعابيرَ فنية تُجاري الأَمثال السَّائرة في شمولها وعمومها، وفي إِيجازها وبلاغة أُسلوبها، ومثل هذه التَّعابير أَراد لها الحريريُّ أَنْ تسير بين النَّاس، وأَنْ تجري مَجْرَى الأَمثال، وهي الَّتِي اصطلح البحث على تسميتها بالأَمثال المصنوعة.

فهذا البحث يدرس الأَمثال المصنوعة في المقامات، من حيث التَّعريف بها، والحديث عن خصائصها، والتَّقنيات المعتمدة في صياغتها.

وتجدر الإِشارة إِلى أَنَّ مقامات الحريريِّ قد أُلفت فيها كثيرًا من الشُّروح والدِّراسات اللُّغويَّة والأَدبيَّة، لا سيَّما الأَمثال، لكنَّ ظاهرة الأَمثال المصنوعة عنده لم تُدرَس سابقًا بحسب علمنا، فكان ذلكَ حافزًا لكتابة هذا البحث فيها.

ويتألف البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تحدَّثتُ في التَّمهيد عن الحريريِّ ومقاماتِهِ بصورة موجزة، ومفهوم الأَمثال والفرق بينها وبين ما يجري مَجْرَاها من كلام الأُدباء والبلغاء والحكماء، وانتهيت إِلى أَنَّ ما اصطُلِح على تسميته الأَمثال المصنوعة هو من الكلام الَّذِي يجري مَجْرَى الأَمثال، وتنطبق عليه أَحكامها.

وتكلَّمتُ في المبحث الأَوَّل على الأَمثال الَّتِي أَوردها الحريريُّ في مقاماته، وعلى تلكَ الَّتِي ابتكرها من بنات فكره.

وتعرَّضت في المبحث الثَّاني إِلى الحديث عن التَّقنيات الَّتِي اعتمدها الحريريُّ في صناعة الأَمثال.

وفي المبحث الثَّالث تحدَّثت عن الخصائص الأُسلوبيَّة للأَمثال المصنوعة.

ودوَّنتُ في الخاتمة أهم النتائج الَّتِي توصَّل إليها البحث.

وأَسأل الله تعالى أَنْ يكون عملي خالصًا لوجهه الكريم، إِنَّه سميع مجيب ...

التَّمهيدُ

تعريفٌ موجزٌ بالحريريِّ ومقاماتِهِ، ومفهومُ الأَمثالِ، والفرقُ بينها وبين ما يجري مجراها

١- تعريفٌ موجزٌ بالحريريِّ ومقاماتِهِ:

الحريريُّ هو: أَبو محمد، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، الحريريُّ، وُلِد في قَرية «المشان» القريبة من البصرة سنة (٤٤٦هـ) ونشأ فيها، وسكن البصرة، وأَخذ عن أَكابر علماء عصره الفقهَ والحديثَ واللُّغة والأَدب، وبَلَغَ مرتبة رفيعة في العلم والبلاغة، وكان على درجة كبيرة من الذَّكاء والفطنة[١]، وله جاه عريض ورئاسة، وكان من ذوي الغنى واليسار؛ إِذ يملك نحو ثماني عشرة أَلف نخلة في البصرة[٢]، وتوفي سنة (٥١٦هـ)[٣].

وقد ارتبط اسم الحريريِّ بمقاماته الخمسين، الَّتِي أَنشأها على غرار مقامات بديع الزَّمان الهمذانيِّ (ت٣٩٨هـ).

والمقامات: جمع مَقامة، وهي في أَصل اللُّغة اسم للمجلس والجماعة من النَّاس[٤]، ثُمَّ أُطلق لفظ المَقامة على الأُحدوثة من الكلام، كأَنَّها تُذكر في مجلس واحد، يجتمع فيه الجماعة من النَّاس؛ لسماعها[٥].

ومقامات الحريريِّ أَقاصِيص قصيرة، تحكي مغامرات أَديب ظريف هو أَبو زيد السَّرُوجِيُّ، الَّذِي كان يحتال على النَّاس بعلمِه وبلاغته وأَدبه، ويتنقَّل بين البلدان، وله راوية هو الحارث بن همام، يشهد أَخباره ونوادره ومغامراته، ويروي ذلكَ للنَّاس.

وأَبو زيد السَّرُوجِيُّ، والحارث بن همام، كلاهما شخصيتان من ابتداع الحريريِّ، اتَّخذ الأَوَّل بطلًا لمقاماته، والثَّاني راوية له[٦].

---

(١) يُنظر: معجم الُأدباء: ٢٢٠٢/٥، ووَفَيات الَأعيان: ٦٣/٤، ٦٧.

(٢) يُنظر: وَفَيات الَأعيان: ٦٧/٤.

(٣) يُنظر: معجم الُأدباء: ٢٢٠٢/٥.

(٤) يُنظر: لسان العرب، (قوم): ٥٩٧/١٢.

(٥) يُنظر: صبح الَأعشى في صناعة الإنشا: ١٢٤/١٤.

(٦) يُنظر: شرح مقامات الحريريِّ- الشُّريشيُّ: ٤/١، ومعجم الُأدباء: ٢٢٠٣/٥.

وتنماز المقامات بثراء مادَّتها، وتنوُّع أَساليبها، وغناها بالصُّور البيانيَّة، والأَلوان البديعيَّة، لا سيَّما السَّجع.

وقد تحدَّث الحريريُّ عن خصائص مقاماته وقيمتها بقوله: ((فأَنشأتُ خمسينَ مَقامةً، تَحتَوِي على جِدِّ القَولِ وهَزلِهِ، ورَقِيقِ اللَّفظِ وجَزلِهِ، وغُرَرِ البَيانِ ودُرَرِهِ، ومُلَحِ الأَدبِ ونوادِرِهِ، إلى ما وَشَّحتُها بِهِ مِنَ الآياتِ، ومَحاسِنِ الكِناياتِ، ورَصَّعتُهُ فيها مِنَ الأَمثال العربيَّةِ، واللَّطائِفِ الأَدبيَّةِ، والأَحاجِي النَّحويَّةِ، والفَتاوَى اللُّغويَّةِ، والرَّسائِلِ المُبتَكَرةِ، والخُطَبِ المُحَبَّرةِ، والمَواعِظِ المُبكِيةِ، والأَضاحِيكِ المُلهِيةِ، مِمَّا أَملَيتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسانِ أَبي زَيدٍ السَّرُوجِيّ، وأَسنَدتُ رِوايتَهُ إلى الحارِثِ بنِ همَّامٍ البَصرِيّ))[1].

٢- مفهومُ الأَمثالِ، والفرقُ بينها وبين ما يجري مجراها:

المَثل في الأَصل: النَّظير والشَّبيه، ((من قولِكَ: هذا مِثْلُ الشَّيءِ ومَثَلُه، كما تقول: شِبْهُه وشَبَهُه، ثُمَّ جُعِل كلُّ حكمة سائرة مثلًا))[2].

فالمِثْل والمَثَلُ من الصِّيغ الوصفيَّة النَّائبة عن اسم الفاعل: المُماثِل، المشتق من مصدر الفعل: ماثَل يُماثِل، الفعل الثُّلاثيُّ المزيد بحرف واحد هو الأَلف، والزِّيادة فيه للمشاركة، وتعني أَنَّ كلا النَّظيرين قد أَشبه الآخر.

والمَثَل في الاصطلاح هو: القول السَّائر على الأَلسنة، المُمَثَّل مَضربُه بمَوردِه، والمراد بالمورد: الحالة الأَصليَّة الَّتِي ورد فيها الكلام، وبالمضرب الحالة المشبَّهة بها الَّتِي أُريدَت بالكلام[3]، نحو قولهم: بَرِّقْ لِمَن لا يَعرِفُكَ، أَي: هَدِّدْ مَن لا عِلمَ له بكَ[4].

وهذا التَّعريف يعني أَنَّ المَثَلَ كلامٌ نشأ مرتبطًا بحادثة معيَّنة، فتَداوله النَّاس، واستشهدوا به على وقوع حوادث مُشابهة، فلا بدَّ للمثل من قصة ارتبط بها نشوؤُه، ثُمَّ لا بدَّ فيه من الشُّيوع والتَّداول على أَلسنة النَّاس، فإِذا لم يُكتَب له الشُّيوع فلا يُعَدُّ من الأَمثال، قال أَبو هلال العسكريُّ: ((وقد يأتي القائِلُ بِمَا يَحسُن أَنْ يُتَمَثَّل به، إِلَّا أَنَّه لا يتَّفق أَنْ يسير، فلا يكون مثلًا))[5].

وبناءً على ما تقدَّم يُمكن القول: إِنَّ المثَل كلام تحقَّقت فيه جملة من الخصائص، الأُسلوبيَّة والمنطقيَّة والاجتماعيَّة، أَهمها: إيجاز اللَّفظ، وإِصابة المعنى، وحُسن التَّشبيه بين المورد والمضرب، والتَّخييل

(١) مقامات الحريريّ: ٦-٧.

(٢) جمهرة الأَمثال: ٧/١.

(٣) يُنظر: زَهر الأَكم في الأَمثال والحكم: ٢٠/١، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١٤٤٩/٢.

(٤) مجمع الأَمثال: ٩٠/١.

(٥) جمهرة الأَمثال: ٧/١.

عن طريق استحضار حوادث المورد، والإقناع باعتبار أَنَّ المثل قِيل في حادثة عُرِفت مقدماتها وظهرت نتيجتها، وقبول النَّاس للمثل وشُيوعه على أَلسنتهم ...[١].

وتتجلَّى أَهمِّيَّة الأَمثال في أَنَّها تُؤلِّف جزءًا كبيرًا من التُّراث الفكريّ واللُّغويّ والأَدبيّ، فهي تتضمَّن عصارة الفكر، ورحيق التَّجارب، وهي مرآة الحوادث، وَمِنْبَرُ الحكمة، وقُطُوفُ البلاغة، ومَجلى البراعة، قال ابن عبد ربه: ((هي وَشْيُ الكلام، وجوهرُ اللَّفظ، وحَليُ المعاني، والَّتِي تخيَّرتْها العربُ، وقَدَّمتها العجمُ، ونُطِق بها في كلِّ زمان، وعلى كلِّ لسان، فهي أَبقى من الشِّعر، وأَشرف من الخطابةِ، لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَها، ولا عَمَّ عُمومَها، حتى قيل: أَسْيَرُ من مَثَل))[٢].

ثُمَّ إِنَّ قيمة الأَمثال لا تقتصر على ما تختزنه من كنوز فكريَّة وتعبيريَّة، بل تتجاوز ذلكَ حين يتَّخذها الأُدباء والمفكرون أُسسًا وقواعد يُنشِئون عليها إِبداعاتهم الأَدبيَّة، ويُقيمون عليها حججهم المنطقيَّة، ويُحَلُّون بها نصوصهم وأَشعارهم، ويُزيّنون بها كلامهم كما تُزَيّنُ الورودُ الرِّياضَ، وكما تُزيّن النُّجومُ والكواكبُ وجهَ السَّماء، فهي: ((من أَجلِّ الكلام وأَنبلِهِ وأَشرفِهِ وأَفضلِهِ؛ لقلَّة أَلفاظها وكثرة معانِيها، ويَسيرِ مؤونتِها على المُتكلِّم، مع كبيرِ عنايتها وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أَنَّها مع إِيجازها تعمل عَمَلَ الإِطناب، ولها روعة إِذا برزتْ في أَثناء الخطاب، والحِفظُ مُوكَلٌ بِما راعَ مِن اللَّفظِ وندرَ من المعنى))[٣].

ولأَهمِّيَّة الأَمثال وإِقبال النَّاس عليها ظهرت مُصنَّفات خاصة بها، كـ«أَمثال العرب» للمفضل الضَّبيّ (ت١٦٨هـ)، و «الأَمثال» لمؤرج السَّدوسيّ (ت١٩٥هـ)، و «الأَمثال» للقاسم بن سلَّام (ت٢٢٤هـ)، و«الأَمثال المولَّدة» لأَبي بكر الخوارزميّ (ت٣٨٣هـ)، و «جمهرة الأَمثال» لأَبي هلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ)، و«مجمع الأَمثال» للميدانيّ (ت٥١٨هـ)، و «زَهر الأَكم في الأَمثال والحكم» لنور الدِّين اليوسيّ (ت١١٠٢هـ)، وغيرها، فضلًا عمَّا تضمَّنته مصنَّفات الأَدب والبلاغة من الأَمثال.

وأَمَّا ما يجري مَجْرَى الأَمثال فهو كلامٌ شعريٌّ أَو نثريٌّ، مستقلٌّ بنفسه، مشتمل على حكمةٍ أَو موعظةٍ أَو عبرةٍ، طابقَتْ وقائعَ عامَّةً جاريةً بين النَّاس، فاستحسنوه وتداولوه حتى شاع بينهم[٤]، ويختلف عن الأَمثال في أَنَّه يكون من ابتكار صاحبه، وغير مرتبط بقصَّة أَو حادثة معيَّنة، وقد يكون له مناسبة أَو قصَّة، لكنَّه لم يُنْقَل عن قدماء العرب[٥].

(١) يُنظر: مقدمة التَّحقيق لكتاب أَمثال العرب: ٧.

(٢) العقد الفريد: ٣/٣.

(٣) جمهرة الأَمثال: ٤/١-٥.

(٤) يُنظر: صبح الأَعشى في صناعة الإنشا: ٣٤٩/١.

(٥) يُنظر: الأَمثال- ابن سلَّام: ٣٤.

والأَقوال الَّتِي جرت مَجْرَى الأَمثال مختلفةُ المصادر، فمنها ما ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[1]، وقوله: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[2].

ومنها ما ورد في الحديث الشَّريف كقول النَّبيّ ﷺ: {{إِيَّاكم وخضراءَ الدِّمَن}}[3]، وقوله: {{رِفقًا بالقَواريرِ}}[4][5].

ومنها ما ورد في النَّثر والخطب وكلام الحكماء، وهو كثير جدًّا، نحو: ((مَنْ جَهِلَ قَدرَ نَفسِهِ كانَ بِقَدرِ غَيرِهِ أَجهَلَ))[6]، ونحو: ((لا مُروءَةَ لبَخِيلٍ))[7].

ومنها ما ورد في الشِّعر كقول المتنبيّ[8]:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا
تَعِبَتْ فِي مرادِهَا الأَجسامُ

وقوله[9]:

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ ناقصٍ فَهِيَ الشَّهادَةُ لِي بِأَنِّيَ كامِلُ[10]

ولعلَّ إعجاب النَّاس بالأَمثال، وما جرى مجراها من الكلام، قد دفع بعض الأُدباء الحاذقين إلى تعمُّد ابتكار الكلام البليغ، المتَّصف بالإيجاز والاستقلال، وتضمينه شيئًا من الحِكم والمواعظ والعِبر،

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ٩٩.

(٢) سورة الرَّحمن، الآية: ٦٠.

(٣) مسند الشِّهاب القضاعيّ: ٩٦/٢، رقم الحديث (٩٥٧). قال ابن طاهر في تخريج أَحاديث الشِّهاب: ((هذا الحديث يعدُّ في أَفراده، وهو ضعيف))، وقال الدَّارقطنيُّ: ((هذا الحديث لا يصحُّ بوجه)). البدر المنير في تخريج الأَحاديث والآثار الواقعة في الشَّرح الكبير: ٤٩٧/٧-٤٩٨.

(٤) لم أَقف على الحديث بهذا اللَّفظ، ووقفت عليه بلفظ: {{رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالقَوَارِيرِ}}. متفق عليه، عن أَنس ابن مالك رضي الله عنه، أَخرجه البخاريُّ في: الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأَيامه، كتاب الأَدب، باب ما يجوز من الشِّعر والرَّجز والحداء وما يكره منه: ٣٥/٨، رقم الحديث (٦١٤٩)، ومسلم في: المسند الصَّحيح المختصر من السُّنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، كتاب الفضائل، باب في رحمة النَّبيّ ﷺ للنِّساء وأَمر السَّواق مطاياهن بالرِّفق بهن: ١٨٢٢/٤، رقم الحديث (٢٣٢٣).

وفي مسند الحميديّ: {{رِفْقًا قودًا بِالقَوَارِيرِ}}: ٥٠٨/٢، رقم الحديث (١٢٠٩)، وفي مسند ابن الجَعد: {{اِرْفُقْ وَيْحَكَ بِالقَوَارِيرِ}}: ٢٠٨، وفي مسند الإِمام أَحمد: {{وَيْحَكَ اِرْفُقْ بِالقَوَارِيرِ}}: ١٦٤/٢٠، رقم الحديث (١٢٧٦١).

(٥) التَّمثيل والمحاضرة: ٢٢.

(٦) التَّمثيل والمحاضرة: ٤٣٩.

(٧) التَّمثيل والمحاضرة: ٤٤٠.

(٨) شرح ديوان المتنبيّ- البرقوقيُّ: ١٢٢٥، والبيت من البحر الخفيف.

(٩) شرح ديوان المتنبيّ- البرقوقيُّ: ٩٤٤، والبيت من البحر الكامل.

(١٠) يُنظر: زَهر الآداب وثمر الألباب: ٣١٢/١.

وإرساله بين النَّاس؛ ليجري بينهم مجرى الأَمثال[١]، وأَشهر مَن عُرِف بذلكَ من الشُّعراء المتنبيُّ[٢]، ومن الكُتَّاب الحريريُّ.

فالحريريُّ في مقاماته أَتى بكثير من الكلام، الَّذِي يجري مَجْرَى الأَمثال، كما سيظهر في المباحث الآتية، لكن ما جاء به الحريريُّ ينماز عمَّا ابتكره غيره من هذا النَّوع بِأَنَّه يستند إِلى قصة، وهي القصة الَّتِي تدور حولها المقامة، وبذلكَ تحقَّق لكلامه ركنٌ مهمٌّ من أَركان الأَمثال، لم يتحقَّق لكلام غيره، وهو الاستناد إِلى الحوادث والقصص، فجاء كلامه في منزلة متوسطة بين الأَمثال وما يجري مَجْرَاها، فصحَّ أَنْ يُطلَق عليه: صناعة الأَمثال عند الحريريّ.

(١) يُنظر: الكليات: ٦٣.

(٢) يُنظر: الفنُّ ومذاهبه في الشِّعر العربيّ: ٣٢٦.

المبحثُ الأَوَّلُ

الأَمثالُ فِي المقاماتِ بينَ الاقتباسِ والصِّناعةِ

تُعَدُّ الأَمثال من عيون التُّراث الفكريّ واللُّغويّ عند العرب، توارثوها جيلًا بعد جيلٍ، وتداولوها في محافلهم ومجالسهم وأَسمارهم، ووظَّفوها في أَشعارهم وخُطبهم ورسائلهم، ودعَوا إِلى حفظها وتحلية الكلام بها. وقد أَدركَ الحريريُّ ما تتصف به الأَمثال من خصائص لُغويَّة وفكريَّة وأُسلوبيَّة وجماليَّة، فارتاد رياضها، وقطف من أَزهارها، ونثر كنوزها في مقاماته، حتى غدت المقامات عقودًا من الجواهر البلاغيَّة.

فالأَمثال تُؤلِّف جزءًا مهمًّا من البِنْية اللُّغويَّة والفكريَّة للمقامات؛ إِذ لا يكاد يخلو مقطع من مَثَلٍ، أَو تلميح إِلى مَثَل، أَو توظيفٍ لمعاني الأَمثال وأَلفاظها، وقد أَشار الحريريُّ إِلى ذلكَ بقوله: ((فأنشأتُ خَمسِينَ مَقامةً، تَحتَوِي عَلَى جِدِّ القَولِ وهَزلِهِ، ورَقِيقِ اللَّفظِ وجَزلِهِ، وغُرَرِ البَيانِ ودُرَرِهِ، ومُلَحِ الأَدَبِ ونَوادِرِهِ، إِلى ما وَشَّحتُها بِهِ مِنَ الآياتِ، ومَحاسِنِ الكِناياتِ، **ورَصَّعتُهُ فِيها مِنَ الأَمثال العَرَبِيّةِ**، واللَّطائِفِ الأَدبيّةِ، والأَحاجِي النَّحوِيّةِ، والفَتاوَى اللُّغوِيَّةِ، والرَّسائِلِ المُبتَكَرةِ، والخُطَبِ المُحَبَّرةِ، والمَواعِظِ المُبكِيةِ، والأَضاحِيكِ المُلهِيةِ، مِمّا أَملَيتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسانِ أَبِي زَيدٍ السَّرُوجِيّ، وأَسنَدتُ رِوايَتَهُ إِلَى الحارِثِ بنِ هَمّامٍ البَصرِيّ))[1]. والحريريُّ في مقاماته لم يسرْ مع الأَمثال على منهج ثابت، فهو تارة يقتبس المثل كما هو، وتارة يصوغه بأُسلوبه، وطورًا يستعير بعض أَلفاظه، وأَحيانًا يستعير المعنى دون اللَّفظ.

فمن أَمثلة اقتباس الأَمثال قوله في المقامة الوبريَّة: ((وكانَ يَومًا أَطوَلَ مِن ظِلِّ القناةِ، وأَحَرَّ مِن دَمعِ المِقلاتِ))[2]، وقوله: ((وبينا هو يَنزو ويَلين، ويستأسِدُ ويَستكينُ))[3]، وقوله: ((وَيلٌ أَهوَنُ مِن

---

(١) مقامات الحريريّ: ١٦.

(٢) مقامات الحريريّ: ٢٦٨. والقناة: الرُّمح، والعرب تزعم أَنَّ ظلَّ الرُّمح أَطولُ ظلٍّ؛ لذلكَ شبَّهوا طول اليوم بطول الرُّمح. يُنظر: جمهرة الأَمثال:١٣/٢، وشرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٣٢٥/٣.

والمِقلات: المرأة الَّتِي لا يعيش لها ولد، فدمعها أَبدًا حارٌّ؛ لشدة حزنها. وقوله: ((أَحَرُّ مِن دَمعِ المِقلاتِ))، من ابتكار الحريريّ، وقد درج بين المتأخرين على أَنَّه من الأَمثال. يُنظر: زَهر الأَكم في الأَمثال والحكم: ١١١/٢.

(٣) مقامات الحريريّ: ٢٧٤. وقوله: ((يَنزو ويَلين))، مثل يُضرَب لِمَن يتعزَّز ثُمَّ يَذلُّ، وأَصله: أَنَّ الجَدي ينزو على الماعز وهو صغير، فإِذا كبر لان. يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٣٢٧/٣. وهو في كتب الأَمثال بأَلفاظ مختلفة، مثل: يَحَرُّ له ويَبرُد. يُنظر: مجمع الأَمثال: ٤٢٧/٢. أَمَّا قوله ((يستأسِد ويَستكين))، فمعناه أَنَّه يثور كالأَسد ثُمَّ يهدأُ. يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٣٢٢/٣. وهو من ابتكار الحريريّ.

وَيلَينِ))[١]،وقوله: ((أَنا تَئِقٌ وأَنتَ مَئِقٌ، فكيفَ نتَّفِقُ))[٢].

وقد يكتفي الحريريُّ باقتباس معنى المثل وما يجري مَجْرَاه من الكلام، أَو إِيراد بعض أَلفاظه، وهذه الطَّريقة يُسميها ابن الأَثير التَّضمينَ الجزئيَّ، وفيه يأخذ الكاتب جزءًا من الآية أَو الحديث أَو المثل، أَو كلامَ غيرِهِ عامَّةً، ويمزجه بكلامه، كأَنَّه منه، وهذا لا يُعَدُّ انتحالًا إِذا كان الكلام المُضَمَّن مشهورًا متداولًا بين النَّاس، كما هو الشَّأن في الأَمثال، وإِنَّما هو في رأيه ((من محاسن الصِّناعة البلاغيَّة، وليس فوقها من الكلام ما هو أَعلى درجةً منها))[٢].

ومن أَمثلة التَّضمين الجزئيّ في المقامات، قول الحريريّ في مقدمة مقاماته: ((ونَستغفِرُكَ من سَوقِ الشَّهَواتِ، إِلى سُوقِ الشُّبُهاتِ، كما نَستغفِرُكَ مِن نَقلِ الخطَواتِ، إلى خِطَطِ الخَطيئاتِ.

ونَستَوهِبُ مِنكَ تَوفيقًا قائِدًا إِلى الرُّشدِ، وقَلبًا مُتقلِّبًا مَعَ الحقِّ، ولِسانًا مُتَحَلِّيًا بِالصِّدقِ، ونُطقًا مُؤيَّدًا بِالحُجّةِ، وإِصابةً ذائِدةً عَنِ الزَّيغِ، وعَزيمةً قاهِرةً هَوى النَّفسِ، وبَصِيرةً نُدرِكُ بها عِرفانَ القَدْرِ))[٣].

فالسَّوْق بفتح السِّين: الدَّفْع، وهو مصدر: ساقَ يسوقُ. والسُّوق بضمّ السِّين: مكانٌ تُعرَض فيه الأَشياء للبيع[٤]. والشَّهَوات: أُمنيات النَّفسِ وهواها[٥]. والشُّبُهات: ما لا يُعرَف فيه وجه الحلال والحرام. والخِطَط: جمع خِطَّة، وهي الطَّريق الَّذِي يخطُّه الإِنسان في الأَرض. والخطيئات: الذُّنوب. والذَّائدة: الدَّافعة. والزَّيغ: الميل عن الحقِّ إِلى الباطل. وعِرفان القَدْر، أَي: معرفة أَقدارنا[٦].

فالحريريُّ في هذا المقطع استعار كثيرًا من الأَمثال وما يجري مَجْرَاها من الآيات القرآنيَّة، والأَحاديث الشَّريفة، فأَخذ معانيَ من بعضها، وأَلفاظًا من بعضٍ، ووظف كلَّ ذلكَ في بناءِ أُسلوبه وأَفكاره.

ولبيان ذلكَ أَسوق الأَمثال والآيات والأَحاديث الَّتِي استند إِليها الحريريُّ في بناء النَّصّ، علمًا أَنَّ الموازنة تُظهر دقَّة الصَّنعة وخصائصها.

---

(١) مقامات الحريريّ: ٢٧٦. والويل: الشَّرُّ، وقوله: ((وَيلٌ أَهونُ من وَيلَين))، أَي: من أَمثالهم في تعزية مَن يُصاب بمكروه. يُنظر: مجمع الأَمثال: ٣٧٠/٢، وشرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٣٢٩/٣.

(٢) مقامات الحريريّ: ٢٧٦. والتَّئِق: الممتلئ غيظًا، والمَئِق: الباكي، فالتئِق ينزع للشَّر؛ لغيظه، والمَئِق لديه ما يكفيه من الحزن، فلا يقدر على احتمال شرّ المئق. وهو مثل يُضرَب للمتنافيَين في الخُلُق. يُنظر: الأَمثال- ابن سلَّام: ٢٧٨، وشرح مقامات الشُّريشيُّ: ٣٢٩/٣.

(٢) المثل السَّائر: ١٤٩/١.

(٣) مقامات الحريريّ:١٠-١١.

(٤) يُنظر: لسان العرب، (سوق): ١٩٩/١٠-٢٠٠.

(٥) يُنظر: لسان العرب، (شها): ٥٤٧/١٤.

(٦) يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ١٦/١.

فمن الأَمثال الَّتِي اعتمد عليها في صياغة النَّصّ قولهم: ((لا ينالُ أَحدٌ الحكمةَ حتى ينسى الشَّهواتِ ويَجوبَ الفلواتِ))[1]، وقولهم: ((مَن ترك الشَّهواتِ عاشَ حُرًّا))[2]، وقولُ الشَّاعر[3]:

فَقَدَ وَقَّفَتْنِي بينَ شَكٍّ وشُبْهَةٍ وما كنْتُ وَقَّافًا على الشُّبُهَاتِ

وقولهم: ((تَأَمَّلْ مَوضِعَ قدَمِكَ تُقَلِّلْ فواحِشَ زَلَلِكَ))[4]، وقولهم: ((لَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ))[5].

ومن الآيات الَّتِي يستند إِليها النَّصُّ، وهي ممَّا جرت مَجْرَى الأَمثال، قوله تعالى: ﴿ فَنَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[9].

ومن الأَحاديث الَّتِي يستند إِليها النَّصُّ، وهي أَيضًا ممَّا جرى مَجْرَى الأَمثال، قول النَّبيّ (ﷺ): {{يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ}}[10]، وقوله عن القرآن الكريم: {{هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ}}[11].

فالحريريُّ لم يستعمل الأَمثال وما يجري مَجْرَاها، في مقاماته على نهجٍ واحدٍ، بل وظفها توظيفات مختلفة، إِذ أَفاد من كلِّ ما تتصف به الأَمثال من جمال العبارة وإِيجازها وبلاغتها، مع ما يرتبط عادة بالمثل من حوادث وحكايات، تفاصيلها معروفة، ونتائجها صادقة، فضلًا عمَّا تختص به الأَمثال وما

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأَمثال: ١٤٣.

(٢) مجمع الأَمثال: ٣٢٨/٢.

(٣) البيت لأعرابيٍّ من بني الحارث بن كعب في: الكامل في اللُّغة والأَدب: ٩١/١، وبلا نسبة في: زَهرُ الأَكم في الأَمثال والحكم: ٣٤٧/١، والبيت من البحر الطَّويل.

(٤) جمهرة الأَمثال: ٣٠٢/١.

(٥) مجمع الأَمثال: ١٨٢/٢.

(٦) سورة النَّحل، من الآية: ٩٤.

(٧) سورة الجِنّ، الآية: ١٤.

(٨) سورة مريم، الآية: ٥٠.

(٩) سورة النُّور، من الآية: ٣٧.

(١٠) أَخرجه الإِمام أَحمد في: مسنده: ١٦٠/١٩، رقم الحديث (١٢١٠)، وقال الشَّيخ شعيب: ((إِسناده قوي على شرط مسلم))، وأَخرجه التِّرمذيُّ من حديث أَنس ﷺ، وقال: ((وهذا حديث حسن)). الجامع الكبير (سنن التِّرمذيّ): ١٦/٤، رقم الحديث (٢١٤٠).

(١١) أَخرجه التِّرمذيُّ من حديث علي ﷺ في: الجامع الكبير (سنن التِّرمذيّ): ٢٢/٥، رقم الحديث (٢٩٠٦). وابن أَبي شيبة في: الكتاب المصنف في الأَحاديث والآثار، كتاب فضائل القرآن، في التَّمسك بالقرآن: ١٢٥/٦، رقم الحديث (٣٠٠٠٧)، والدَّارميُّ في: مسنده، كتاب فضائل القرآن، باب فضل مَنْ قرأَ القرآن: ٢٠٩٨/٤، رقم الحديث (٣٣٧٤)، والحديث ضعيف، قال عنه التِّرمذيُّ بعد أَنْ أَخرجه: ((هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفُهُ إِلَّا من هذا الوجهِ وإِسنادُهُ مجهول)).

يجري مَجْرَاها من الشُّيوع بين النَّاس.

ولم يكتفِ الحريريُّ بتوظيف الأَمثال في بناء النَّصِّ، بل سلكَ مسلكًا متميِّزًا تَمَثَّل في صناعة الأَمثال، إذ أَلَّف في مقاماته كثيرًا من التَّعابير البلاغيَّة، الَّتِي تتحلَّى بالسَّجع والأَلوان البديعيَّة، وتستند إلى الحكاية الَّتِي تدور حولها كلُّ مقامة، وتصلح من حيث المعنى للتَّعميم والشُّمول، فأَرسلها في مقاماته، وهو يريد لها أَنْ تشيع بين النَّاس كالأَمثال، فكان له ما أَراد.

وقد فطن صلاح الدِّين الصَّفديُّ (ت٧٦٤هـ) إلى طريقة الحريريِّ في صناعة الأَمثال، فقال: ((وفصاحتُه تُعْلَمُ مِنْ أَخذِه الأَمثال السَّائرة، وضمِّها إلى سَجعةٍ أَحسَنَ منها، كقوله: «أَعطَيتَ القَوسَ باريها، وأَنزلتَ الدَّارَ بانيها»[1]، وقَولِه: «فبَقيتُ أَحيَرَ مِن ضَبٍّ، وأَذهَلَ مِن صَبٍّ»[2]، وقوله: «ليَعلَمَ أَنَّ ريحَهُ لاقَت إعصارًا، وجَدولَه صادَفَ تيَّارًا»[3].

وقَوله: «ما كلُّ سوداء تمرة، ولا كلُّ صَهباء خَمرة»[4]، وفيها من هذا النَّوع كثيرٌ أَضرَبْتُ عنه خوفَ الإطالة))[5].

فالصَّفديُّ أَشار هنا إلى بلاغة الحريريِّ، متمثِّلةً في اقتباس المثل، ثُمَّ تأليف قرينة له، تَفوقه في الحُسن، والحقيقة أَنَّ هذه القرينة المؤلَّفة ما هي إلَّا مَثلٌ ابتكره الحريريُّ، وقصد إرساله بين النَّاس؛ ليشيع بينهم كما شاع المثل المقتبس، وتقنية القرائن هذه هي الأَشهر من بين تقنيات صناعة الأَمثال عند الحريريِّ، كما سيظهر في المبحث الآتي.

ومن الأَمثال المصنوعة في المقامات قول الحريريِّ في المقامة الكَرَجِيّة، الَّتِي يظهر فيها أَبو زيدٍ السَّرُوجِيُّ عُريانَ، يطلب من النَّاس المعونة بما يستر جسمه: ((يا أَربابَ الثَّراء، الرَّافِلينَ في الفِراء، مَنْ أُوتِيَ خَيرًا فلْيُنْفِقْ، ومَنِ استَطاعَ أَنْ يَرْفُقَ فلْيَرْفُقْ؛ فَإِنَّ الدُّنيا غَدُورٌ، والدَّهرَ عَثورٌ، والمُكنَةَ زَورَةُ طيْفٍ، والفُرصَةَ مُزنَةُ صيفٍ... وها أَنا اليومَ يا سادَتي، ساعِدي وِسادَتي، وجِلْدَتي بُرْدَتي، وحَفْنَتي جَفنَتي، فليَعتَبِرِ العاقِلُ

(١) مقامات الحريريِّ: ٦٢. وقوله: ((أَعطيتَ القوسَ باريها))، مثل يُضرَب في الاستعانة بِأَهل المعرفة والحِذق. يُنظر: الأَمثال- ابن سلَّام: ٢٠٤. أَمَّا قوله: ((أَسكنتَ الدَّارَ بانيها))، فهو من ابتكار الحريريِّ.

(٢) مقامات الحريريِّ: ١٤٣. وقوله: ((فبقيتُ أَحيَرَ مِن ضَبٍّ))، مثل يُضرَب في البَلَه والحَيرة، والضَّبُّ إذا فارقَ جُحرَه لا يهتدي للرجوع. يُنظر: مجمع الأَمثال: ٢٢٧/١. أَمَّا قوله: ((أَذهَل مِن صَبٍّ))، فالصَّبُّ: العاشق. والذُّهول: الغفلة والنِّسيان. يُنظر: زَهر الأَكم في الأَمثال والحكم: ٢١/٣. وهو من ابتكار الحريريِّ، الَّتِي استُعملت في الأَمثال.

(٣) مقامات الحريريِّ: ٢٣٣. وقوله: ((ليَعلَمَ أَنَّ ريحَهُ لاقَت إعصارًا))، مثل يُضرب للقوي يُلاقي أَقوى منه. يُنظر: جمهرة الأَمثال: ٣١/١. أَمَّا قوله: ((وجَدوله صادف تيّارًا))، فهو من ابتكار الحريريِّ.

(٤) مقامات الحريريِّ: ٣٧٧. وقوله: ((ما كلُّ سوداءَ تمرة))، مثل يُضرَب للرَّجل يُشبِه أَباه في الصُّورة ولا يُشبِهُه في الخُلُق. يُنظر: مجمع الأَمثال: ٢٨١/٢-٢٨٢. وأَمَّا قوله: ((ولا كلُّ صَهباء خَمرة))، فهو من ابتكار الحريريِّ.

(٥) نُصرة الثَّائر على المثل السَّائر: ٦١-٦٣.

بحالي، ولْيُبادِرْ صرْفَ اللَّيالي، فإنَّ السَّعيدَ مَنِ اتَّعظَ بسِواهُ، واستَعدَّ لمسْراهُ))[1].

فأَرباب الثَّراء: أَصحاب المال. والرَّافِلينَ: الماشين بخُيلاء وتبختُر. والفِراء: جمع فروة. وأُوتِي: أُعطِيَ. وخَيرًا: مالًا. ويُرفِق: يُعين. وغَدور: كثيرة الخِداع. وعَثُور: واقع بأَهله. وغَدور وعَثور من صيغ المبالغة. والمُكنةُ: الغِنى. والطَّيف: ما يُرى في النَّوم. والمُزنة: السَّحابة. وساعِدي: ذراعي. وبُرْدَتي: ثوبي. والحفنة: الكفَّان مفتوحان ومتلاصقان، وتُطلق الحفنة أَيضًا على ما يَملأُ الكفَّين. والجَفنة: الصَّحفة أَو القصعة. والمعنى أَنَّه لا يملك أَثاثًا أَو متاعًا. وصَرف اللَّيالي: تقلُّب الزَّمان ونوائبه. وسِواه: غيره. والمسرى: اسم مكان للفعل: سَرَى يسري، أَي: سار ليلًا، وأَراد به المثوى الأَخير[2].

يتضمن المقطع السَّابق عددًا من التَّعابير الَّتِي تستند إلى الأَمثال وما يجري مجراها، فضلًا عن تعابير أُخرى ابتكرها الحريريُّ، واستُعملت فيما بعدُ استعمال الأَمثال.

فقوله: ((مَنْ أُوتِيَ خَيرًا فلْيُنْفِقْ))، بناه الحريريُّ على معنى تضمنته عدَّة آيات، منها: قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُوسَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾[5].

وقوله: ((واستعدَّ لمسراه))، مأْخوذ من الحديث الشَّريف: {{الكَيِّسُ مَن دانَ نفسَه، وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ}}[6].

وقوله: ((فإنَّ السَّعيدَ مَنِ اتَّعظَ بسِواهُ))، قولٌ يُنسَب إلى عبد الله بن مسعود (ﷺ)، ولفظه: ((السَّعيدُ مَن وُعِظَ بغَيرِهِ))[7].

وقوله: ((فإنَّ الدُّنيا غَدُورٌ))، مِمَّا يتداوله النَّاس بأَلفاظ كثيرة، وعبارات متنوعة، كقول أَبي نواس[8]:

إِذَا امتَحَنَ الدُّنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَن عدوٍّ فِي ثِيابِ صديقِ

---

(١) مقامات الحريريّ: ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٢٣٩/٣-٢٤٠.

(٣) سورة الطلاق، من الآية: ٧.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٦٧.

(٥) سورة المنافقون، من الآية: ١٠.

(٦) أَخرجه الإمام أَحمد في: مسنده: ٣٥٠/٢٨، رقم الحديث (١٧١٢٣)، وقال عنه الشَّيخ شعيب: ((إسناده ضعيف))، وأَخرجه التِّرمذيُّ من حديث شداد بن أَوس ﷺ، وقال: ((هذا حديث حسن)). الجامع الكبير (سنن التِّرمذيّ): ٢١٩/٤، رقم الحديث (٢٤٥٩).

(٧) الأَمثال- ابن سلَّام: ٢٢٧.

(٨) ديوانه: ٧١٤، والبيت من البحر الطَّويل.

أَمَّا الأَمثال المبتكرة في هذا المقطع فهي:

قوله: ((ومَنِ استَطاعَ أَنْ يَرْفُقَ فلْيَرْفُقْ))، أَرسله الحريريُّ على صورة المثل، مقترنًا بـ((مَنْ أُوتِيَ خَيرًا فلْيُنْفِقْ))، الَّذِي يجري مَجْرَى الأَمثال.

وقوله: ((والدَّهرَ عَثورٌ))، هو من ابتكار الحريريّ، أَرسله مقترنًا بـ((فإِنَّ الدُّنيا غَدُورٌ))، الَّذِي يجري مَجْرَى المثل.

وقوله: ((والمُكنَةَ زَورَةُ طيْفٍ))، هو من ابتكار الحريريّ، مبني على العلاقة بين المُكنة، وزورة الطَّيف، الَّتِي يكثر تداولها بين النَّاس[1].

وقوله: ((والفُرصَةَ مُزنَةُ صيفٍ))، ابتكره الحريريُّ بإسناد (مُزنة الصَّيف) إِلى (الفرصة)، و(مزنَةُ الصَّيف) ممَّا يُستعمل في الأَمثال، كقولهم: سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ[2].

وقوله: ((ساعِدي وِسادَتي، وجِلْدَتي بُرْدَتي، وحَفْنَتي جَفنَتي))، من ابتكار الحريريّ، الَّتِي تجري مَجْرَى الأَمثال، في مجال الشَّكوى من سوء الحال[3].

فالحريريُّ في هذا المقطع ابتكر جُملة من العبارات، الَّتِي تجري مَجْرَى الأَمثال، وتستند إِلى قصة المقامة، وقد اعتمد عددًا من التَّقنيات اللُّغويَّة في صناعة هذه الأَمثال، منها أَنْ يقرن بين التَّعبير المصنوع والمثل المشهور، ومنها أَنْ يبني التَّعبير على علاقة إِسناد، أَحد طرفيها مثلٌ مشهور، ومنها التَّأليف المستقل الَّذِي يستوفي فيه شروط المثل، من حيث العموم والإِيجاز وحُسن التَّأليف، كما سيظهر في المبحث الآتي.

---

(١) يُنظر: زَهر الأَكم في الأَمثال والحكم: ٣١١/٢.

(٢) مجمع الأَمثال: ٣٤٤/١. وأَصل هذا المثل عجز بيت من البحر الطَّويل، للشَّاعر الأَمويّ عمران بن حطان، وقال فيه:

أَرَاهـــا وإِنْ كـــانَـــتْ تُـــحَـــبُّ فـــإِنَّـــهَـــا سَـــحَـــابَـــةُ صَـــيـــفٍ عَـــنْ قَـــلِـــيـــلٍ تَـــقَـــشَّـــعُ

يُنظر: العقد الفريد: ٨١/١، ١٣٥/٣، والبصائر والذَّخائر: ١١٦/٤، وشعر الخوارج: ١٥٤.

(٣) يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشَّريشيُّ: ٢٦٩/٢.

المبحثُ الثَّاني

التَّقنياتُ في صناعةِ الأَمثالِ عندَ الحريريِّ

ظهر في المبحث السَّابق بعضُ التَّقنيات الَّتِي يعتمدها الحريريُّ في صناعة الأَمثال وإِرسالها بين النَّاس، وهذا المبحث مخصَّص لعرض تلكَ التَّقنيات الَّتِي توصَّلتُ إليها بالاستقراء والاستنتاج، وأَهمها:

١- أَنْ يَقرِنَ المثلَ المصنوعَ بمثلٍ مشهورٍ:

تُعَدُّ هذه التَّقنية من أَهمِّ التَّقنيات الَّتِي لجأَ إِليها الحريريُّ في صناعة الأَمثال، وهي الَّتِي أَلمح إِليها صلاح الدِّين الصَّفديُّ في ثنائه على بلاغة الحريريّ، إِذ قال: ((وفصاحتُه تُعلَم مِنْ أَخذِه الأَمثال السَّائرة، وضمِّها إِلى سَجعةٍ أَحسَنَ منها ... كقوله: «مأْرَبٌ لا حَفاوةٌ، ومَشربٌ لم يَبقَ له عِندي حَلاوة»[(١)]، وقوله: «أَبعَدُ مِن رَدِّ أَمسِ الدَّابِرِ، والمَيِّتِ الغابِرِ»[(٢)] ... وفيها من هذا النَّوع كثيرٌ أَضرَبْتُ عنه خوفَ الإِطالة))[(٣)].

وتتلخَّص هذه التَّقنية في أَنَّ الحريريَّ يأخذُ مثلًا مشهورًا أَو ما يجري مَجْرَى المثل، فيُورده في كلامه، ثُمَّ يقرنه بتعبير من إِنشائه، تجتمع فيه خصائص الأَمثال، فيرسله مقترنًا بالمثل المشهور، ويربط بينهما بقرائن السَّجع، ومن أَمثلة ذلكَ قوله في الوعظ: ((دأْبُكَ أَنْ تتقلَّبَ مع الأَهواءِ، وتَخبِطَ خَبطَ العَشواءِ))[(٤)]، فقوله: ((دأْبُكَ أَنْ تتقلَّبَ مع الأَهواء))، من إِنشاء الحريريّ، وهو يجري مَجْرَى الأَمثال، ويَصلح أَنْ يُضرَب لِمَن أَطاع هوى النَّفس وسار معه، وقد أَتى به مقترنًا بالمثل المشهور ((خَبْطَ عَشواء))، والعشواء: النَّاقة الضَّعيفة البصر، تضرب بيديها دون أَنْ تتبيَّن الطَّريق، ويُضرَب لِمَن يدخلُ في أَمرٍ بغير بصيرة ولا دراية[(٥)].

فاقتران المثل المصنوع بالمثل المشهور هو التَّقنية الَّتِي اعتمدها الحريريُّ في هذا الموضع، الَّتِي أَفادت في الدَّلالة بِأَنَّ هذا مثل ذاكَ، وله حُكمُه، فضلًا عن ذلكَ التَّزاوج بين القولين في قرائن السَّجع،

(١) مقامات الحريريّ: ٢٤١. وقوله: ((مأرَبٌ لا حَفاوةٌ))، مَثلٌ يُضرَب للرَّجل إِذا كانَ يتملَّقُكَ، أَي إِنَّما بكَ حاجةٌ إِليَّ لا حفاوةٌ بي. يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٢١٦/٣. أَمَّا قوله: ((مَشربٌ لم يَبقَ له عِندي حَلاوةٌ))، فهو من ابتكار الحريريّ.

(٢) مقامات الحريريّ: ٢٥٤. وقوله: ((أَبعَدُ مِن رَدِّ أَمسِ الدَّابِرِ))، مثل يتداوله النَّاس بصيغ مختلفة يدور معناها حول استحالة أَنْ يعود اليوم الَّذِي ذهب، كقولهم: مَنْ يَقْدِرُ عَلَى رَدِّ أَمْسِ، وتَطْيِينِ عَيْنِ الشَّمْسِ؟ يُنظر: مجمع الأَمثال: ٣٢٩/٢. أَمَّا قوله: باستحالة رَدِّ ((الميِّت الغابر))، أَي: الذَّاهب، فهو من ابتكار الحريريّ.

(٣) نُصرة الثَّائر على المثل السَّائر: ٦١-٦٣.

(٤) مقامات الحريريّ: ٢٠١.

(٥) يُنظر: المستقصى في أَمثال العرب: ٩٤/١.

الَّذِي يزيد الارتباط بينهما من النَّاحية الإِيقاعيَّة.

ومن الأَمثال المصنوعة بتقنية الاقتران والتَّزاوج في قرائن السَّجع قوله: ((فلمَّا لَمَحَ مِنَّا استثقالَ ظِلِّهِ، واستِبرادَ طَلِّهِ، تعرَّضَ للمُنافثةِ فصُمِّتَ، وحَمدَل بعدَ أَنْ عَطَسَ فما شُمِّتَ))[1]، فالظِّلُّ يُوصَف بالثِّقل مبالغةً في ثِقَل صاحبه، يُقالُ للمُستثقَل: ظِلُّكَ عليَّ ثَقيلٌ، أَي: أَخفُّ شيءٍ فيكَ، وهو الظِّلُّ، ثقيلٌ عليَّ، ويكون الظِّلُّ ثقيلًا على الحقيقة، إِذا أَخذ عليكَ إِنسانٌ عَينَ الشَّمس في زمن البرد[2].

أَمَّا الطَّلُّ فهو المطر الضَّعيف، وأَكثر نزوله ساكنًا بغير ريحٍ ولا بَرْدٍ، فكنى بالطَّلِّ هنا عن كلامه القليل، وأَنَّه بارد الحديث[3].

وهنا يكون الحريريُّ قد قرنَ بين استثقال الظِّلِّ، وهو من التَّعابير الشَّائعة على الأَلسنة، الَّتِي تجري مَجْرَى الأَمثال[4]، وبين استبراد الطَّلِّ، وهو من ابتكار الحريريّ، وقد أَتى بالمبتكَر مقارِنًا للمشهور، متَّفِقًا معه في السَّجع؛ ليُوحي بِأَنَّ هذا مثل ذاكَ، وكأَنَّه بهذه التَّقنية يُنبِّه القارئ إِلى إِشاعة هذا التَّعبير، واستعماله استعمال الأَمثال.

والمنافثة: الكلام معهم. وصُمِّتَ: زُجِرَ وأُسكِتَ. وحَمدَلَ: قال: الحمدُ لله. وتشميتُ العاطِس أَنْ يُقال له: يرحمُكَ اللهُ[5]، وقوله: ((تعرَّضَ للمُنافثةِ فصُمِّتَ، وحَمدَل بعدَ أَنْ عَطَسَ فما شُمِّتَ))، فالأَوَّل مأخوذ من مثل مشهور: فلانٌ ما يَعوي ولا يَنبُح، أَي: لا يُعتَدُّ به في خير ولا شرٍّ، والعواء للذِّئب وهو كناية عن الإِنذار بالشَّرِّ، والنِّباح للكلب كناية عن التَّبشير بالخير وقدوم ضيوف[6]، والثَّاني من ابتكار الحريريّ، وقد أَرسله مقترنًا بالأَوَّل؛ ليجري مَجْرَى الأَمثال في الاستهانة والاستخفاف بِمَنْ ليس له خطر أَو منزلة، والتَّقنية المتَّبعة هنا هي تقنية إِرسال المثل المصنوع مقترنًا بالمثل المشهور، مرتبطًا به لفظيًّا بقرائن السَّجع.

٢- ربطُ المثلِ المصنوعِ بحكايةِ المقامةِ:

تستند الأَمثال السَّائرة عادة إِلى حكايات معروفة، تولَّدَت منها، ثُمَّ شاعت بين النَّاس حاملةً -على قِصَرِ عباراتها- أَحداثًا مشهورة ونتائجَ مُقرَّرة، والحريريُّ حين كان يصنع أَمثالَه في المقامات لم تَغِبْ عن ذهنه أَهمِّيَّة الحكاية، ولذلكَ جعل أَمثالَه المصنوعة تستند إِلى حكاية المقامة نفسها، فتبقى

(١) مقامات الحريريّ: ٢١٢.

(٢) يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٤٩/٣.

(٣) يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٥٢/٣.

(٤) يُنظر: كتاب الصناعتين: ٤٠، وزَهر الآداب وثمر الألباب: ٣/ ٨٦٥.

(٥) يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٥٣/٣.

(٦) يُنظر: مجمع الأَمثال: ٢٨٦/٢.

أَحداثُ المقامة حاضرةً في المثل المصنوع، كما هو الشَّأن في الحكايات الَّتِي تستند إليها الأَمثال السَّائرة الموروثةُ.

ومِن أَمثلة ذلكَ قوله على لسان الحارث بن همام، حين عرض عليه السَّرُوجيُّ أَنْ يُزوِّجَه بامرأة ممَّن ينزلون الخان: ((وكيفَ أَجمعُ بينَ غُلٍّ وقُلٍّ))[1]، والغُلُّ هنا: الزَّوجة[2]، والقُلُّ: الفقر والقِلَّة[3]، وقد أَراد الحريريُّ لهذا القول أَنْ يجري مَجْرَى الأَمثال، فيُستَشهد به للتَّعبير عن صعوبة الجمع بين أَمرين، كالزَّواج هنا مع الفقر، وما أَراده الحريريُّ لم يكن ليتحقَّق لولا استناد هذا القول إِلى حكاية المقامة، الَّتِي تدور حول مكيدة فعلها السَّرُوجِيُّ بِسُكَّان الخان؛ ليسرق أَمتعتهم، فجعل الزَّواج وسيلة للوصول إِلى مبتغاه، إِذ خطب بهم خطبة بديعة، ثُمَّ أَتاهم بالحلوى الممزوجة بالبنج (نوع من المخدِّر)، فلمَّا أَكلوا فقدوا وعيهم، على حين قام السَّرُوجِيُّ فاستخرج كلَّ ذي قيمة من أَمتعتهم، ولاذ بالفرار.

فالتَّعبير الَّذِي ابتكره الحريريُّ إِنَّما أَصبح في مصافِّ الأَمثال بفضل ارتباطه بحكاية المقامة السَّابقة، ولولاها لَمَّا تحقق له ذلكَ.

ومن أَمثلة الاستناد إِلى حكاية المقامة قول الحريريِّ على لسان السَّرُوجِيِّ يفتخر بذكائه وقوَّة حيلته في المقامة نفسها[4]:

وَلَكَم بَلَغْتُ بحيلتي ما لَيسَ يُبْلَغُ بالسُّيوفْ

فهذا البيت يصلح أَنْ يُستشهد به على بلوغ الهدف بأَسهل الأُمور، كبلوغ ما يحتاج إِلى السَّيف بالحيلة والدَّهاء، وقد أَرسله الحريريُّ؛ ليجري مَجْرَى الأَمثال، وتحقَّق له ذلكَ بفضل استناده إِلى حكاية المقامة الَّتِي ذكرتها قبل قليل.

ومن هذا النَّوع قوله على لسان الحارث بن همام يشكو سوء حاله وشدَّة فقره: ((اتَّخَذتُ اللَّيلَ قميصًا، وأَولجتُ فيه خميصًا))[5]، فهذا القول يجري مَجْرَى الأَمثال في التَّعبير عن شدَّة الفقر، إِذ يسير المرء جائعًا ولا لباس له إِلَّا اللَّيل.

وهذا القول يصلح أَنْ يُتمثَّل به، فيُقال: فلانٌ قميصه اللَّيل، أَي: لا يملك لباسًا.

---

(١) مقامات الحريريّ: ٢٩٢.

(٢) الغلُّ في الأَصل هو: القمل، ولِأَنَّهم كانوا يُقيِّدون الأَسير فيتقمَّل أَصبح يُطلق على القيد، ثُمَّ أُطلق على كلِّ ما يُشبه القيد مجازًا كالزَّوجة والعيال وغير ذلكَ. يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٣٨٠/٣.

(٣) يُنظر: لسان العرب، (قلل): ٦٧١/١١-٦٧٢.

(٤) مقامات الحريريّ: ٣٠٢، والبيت من مجزوء الكامل.

(٥) مقامات الحريريّ: ٢٩٢.

وقد جعل الحريريُّ حكاية المقامة السَّابقة سندًا يستند إِليها المثل المصنوع؛ ليكون أَكثر رسوخًا في الأَذهان وحضورًا على كلِّ لسان، لا سيَّما أَنَّ المقامات تهيَّأ لها من القبول والاستحسان بين النَّاس ما لم يتهيَّأ لكتاب آخر بعد القرآن الكريم والحديث الشَّريف[1].

٣- ربطُ بعضِ الأَمثالِ المصنوعةِ بالنُّصوصِ والحوادثِ المشهورةِ:

اعتمد الحريريُّ، كما ظهر سابقًا، على حكايةِ المقامة للتَّعويض عن الحكاية الَّتِي تستند إِليها الأَمثال السَّائرة الموروثة، ولكنَّه في الغالب لم يكتفِ بذلكَ، بل اعتمد أَيضًا على صور وهيئات وحقائق مشهورة بين النَّاس، راسخة في أَفكارهم وتصوراتهم، وجعل أَمثالَه المصنوعةَ تستند إِليها، مع براعة الرَّبط وطرافة العرض.

ومن ذلكَ أَنَّه ربط بعض أَمثاله المصنوعة بالقرآن الكريم، مستفيدًا من حضور أَلفاظه وآياته وسوره ومعانيه في الأَذهـان، وبهذا استطاع أَنْ يُوفِّرَ لأَمثاله الشُّيوع، بِمَا لها من وشائج قربى بمعاني القرآن وموضوعاته وأَلفاظه.

ومن أَمثلة ذلكَ قوله على لسان أَبي زيدٍ، وهو ينهر الفتى الَّذِي يريد أَنْ يحتجمَ عنده بلا أُجرة: ((وإِنْ كُنتَ ترى الشُّحَّ أَوْلى، وخَزْنَ الفَلْسِ في النّفْسِ أَحْلى، فاقْرأ عبَسَ وتولَّى، واغْرُبْ عني وإِلَّا))[2].

فقوله: ((اقْرأ عبَسَ وتولَّى))، يعني انصرفْ.

وهذا المعنى مُستفاد من موضوع سورة عَبس ومضمونها، وهو من أَمثال الحريريّ المصنوعة، الَّذِي يستمدُّ شُيوعه من براعة الرَّبط بين موضوع السُّورة والأَمر بالانصراف.

ومن ذلكَ قوله في المقامة نفسها يصفُ حال الفتى، بعد أَنْ رفض أَبو زيدٍ أَنْ يحجمَه: ((إِلى أَنْ ضجَّ الفَتى منَ الشِّقاقِ، وتَلا رُدنُهُ سورَةَ الانشِقاقِ))[3]، أَي: شقَّ الصَّبيُّ كُمَّه من شدة ضيقه وحُزنه، فقوله: ((وتَلا رُدنُهُ سورَةَ الانشِقاقِ))، من الأَمثال الَّتِي صنعها الحريريُّ، والَّتِي يستسيغها النَّاس؛ لطرافة الرَّبط بين موضوع السُّورة ووصف الشَّيءِ بالانشقاق.

ومن ذلكَ قوله على لسان أَبي زيدٍ مُخاطبًا صحبَه، بعد أَنْ أَهداه التَّاجر صحافَ الذَّهب: ((فأقبلَ عليْنا أَبو زيدٍ وقال: اقرؤُوا سورةَ الفتْحِ، وأَبشِروا باندِمالِ القرْحِ))[4]، فقوله: ((اقرؤُوا سورةَ الفتْحِ))، من أَمثال الحريريّ المصنوعة، وهو يصلح للتَّعبير عن الفوز الكبير، وهذا المعنى مُستَفاد من موضوع السُّورة

(١) يُنظر: معجم الأُدباء: ٦/ ١٩٩.

(٢) مقامات الحريريّ: ٥١٢.

(٣) مقامات الحريريّ: ٥١٢. والرُّدنُ: الكمُّ. يُنظر: لسان العرب، (ردن): ٢١٥/١٣.

(٤) مقامات الحريريّ: ١٨٣.

ومناسبتها.

ومن ذلكَ قوله على لسان التَّاجر الَّذِي أَهدى لأَبي زيدٍ صحافَ الذَّهب، بعد أَنْ نفرَ من صحاف الزَّجاج؛ لِأَنَّ الزَّجاج نمَّامٌ في زعمه: ((وهذهِ الآنِيةُ تتنزَّلُ منزلَةَ الأَبْرارِ، في صوْنِ الأَسْرارِ. فلا تُوَلِّها الإِبْعادَ، ولا تُلحِقْ هودًا بعادَ))[1]، فقوله: ((لا تُلحِقْ هودًا بعادَ))، معناه: لا تُساوِ بين هُودٍ، وهو مؤمن، وبين قومِه، وهم كُفّارٌ[2].

وهذا القول يصلح أَنْ يكونَ مثلًا يُستشهَد به عند وجود اختلاف بين شخصين، وقد ابتكره الحريريُّ وأَسنده إِلى معنى مشهور جاء به القرآن الكريم.

ومن الأَساليب الَّتِي يعتمدها الحريريُّ، في الأَمثال المصنوعة، للتَّعويض عن الحكايات الَّتِي تستند إِليها الأَمثال السَّائرة، الرَّبط بينها وبين الأَشعار المشهورة، كقوله على لسان الحارث بن همام يُصوِّر حاله: ((فبِتُّ بلَيلَةٍ نابِغيَّةٍ، وأَحْزانٍ يَعقوبيَّةٍ))[3].

فهذا القول يصلح للاستعمال في باب الأَمثال للتَّعبير عن شدة الهموم والأَحزان، وقد استند في الأَوَّل إِلى بيت مشهور للنَّابغة الذُّبيانيّ، قال فيه مُصوِّرًا ما أَصابه من الهموم والأَحزان في ليلته[4]:

فَبِتُّ كَأَنِّي ساورتني ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنيابِها السُّمُ نَاقِعُ

أَمَّا القول الثَّاني فاستند فيه إِلى قصة يعقوب ويوسف (عليهما السَّلام)، الَّتِي وردت في القرآن الكريم.

ومن الأَساليب الَّتِي يعتمدها، للتَّعويض عن الحكايات، الرَّبط بين الأَمثال المشهورة والحقائق الشَّائعة بين النَّاس، ومن ذلك قوله: ((فإِذا أَلمَعيَّتي أَلمَعِيَّةُ ابنِ عبَّاسٍ، وفِراسَتي فِراسَةُ إِياسٍ))[5]، ففي هذا القول أَراد الحريريُّ أَنْ يُرسِل مثلَين، يتضمنان تشبيه الذَّكاء بذكاء الصَّحابيّ الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وتشبيه الفراسة بفراسة قاضي البصرة إِياس بن معاوية[6] المشهور بذلكَ.

ومن الواضح أَنَّه جعل أَمثاله هنا تستند إِلى حقائق مشهورة بين النَّاس عن ابن عباس رضي الله عنهما وإِياس قاضي البصرة، فكانت هذه الحقائق بمثابة التَّعويض عن الحكايات الَّتِي ترتبط بها عادة الأَمثال السَّائرة.

---

(١) مقامات الحريريّ: ١٨٣. والأَبرار: الأَخيار. يُنظر: لسان العرب، (برر): ٦٢/٤. وتُوَلِّها: تُلصِقْ بها. يُنظر: لسان العرب، (ولي): ٤٨٤/١٥. وعاد: هم قوم هود عليه السلام. يُنظر: لسان العرب، (عود): ٣٩٥/٣.

(٢) يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشَّريشيُّ: ٣٤٦/٢.

(٣) مقامات الحريريّ: ٢٧٣.

(٤) ديوانه: ٥٤، والبيت من البحر الطَّويل.

(٥) مقامات الحريريّ: ٧٣. والأَلمعيَّة: الذَّكاء وصدق الظَّنّ. يُنظر: لسان العرب، (لمع): ٣٨٨/٨. والفِرَاسَة: الاستدلال بظاهر الشَّيءِ على باطنه. يُنظر: لسان العرب، (فرس): ١٩٣/٦.

(٦) هو: أَبو واثلة، إِياس بن معاوية بن قرة المزنيُّ، قاضي البصرة، كان يُضرَب المثل بذكائه وصدق فراسته، وأَحد أَعاجيب الدَّهر بذلكَ، توفي في واسط، سنة (١٢٢ه). يُنظر: الأَعلام: ٣٣/٢.

٤- التَّأليفُ الحرُّ:

عرضتُ فيما سبق بعض التَّقنيات الَّتِي يعتمدها الحريريُّ في صناعة الأَمثال وإِرسالها، ولكن تبيَّن لي من مراجعة المقامات أَنَّه في بعض الأَحيان لا يلجأُ إِلى أَيٍّ من التَّقنيات المذكورة، بل يسلكُ طريق التَّأليف الحرِّ، فيبتكرُ السِّياق الَّذِي يجري مَجْرَى الأَمثال، ويرسله من غير اتِّكاء على الأَمثال المشهورة.

ومن ذلكَ قوله على لسان الحارث بن همام منتقدًا أَبا زيدٍ السَّرُوجِيَّ حين رآه في الحانة يشرب الخمر: ((ثُمَّ إِنَّنا رَحَلنا العِيسَ، وقتَ التَّغليسِ، وخَلَّينا بين الشَّيخينِ أَبي زَيدٍ وإِبليس))[1]، فهذا التَّعبير يصلح أَنْ يُستعمَل مثلًا في وصف المرءِ بالضَّلال والإِصرار على المعاصي، فنقول مثلًا: هو ماضٍ في صحبة إِبليس، أَو لا يُغادر مجلس إِبليس، أَو يأتمُّ بإِبليس، أَو شيخُه إِبليس، أَو ما شابه ذلكَ، وهذا التَّعبير من ابتكار الحريريّ من غير اتِّكاء على الأَمثال السَّائرة.

ومن ذلكَ قوله على لسان أَبي زيدٍ السَّرُوجِيّ شعرًا[2]:

إِذَا مـا حَـوَيْـتَ جَـنـى نـخـلَـةٍ فَـلَا تَـقْـرَبَـنْـهَـا إِلـى قَـابِـلِ
وَلَا تُـوغِـلَـنَّ إِذَا مـا سَـبَـحْـتَ فَـإِنَّ الـسَّـلامَـةَ فـي الـسَّـاحِـلِ

فهذان البيتان ابتكرهما الحريريُّ من غير اتِّكاء على الأَمثال الموروثة، ويتضمنان الدَّعوة إِلى طلب الرِّزق بحيطة وحذر، فالنَّخلة لا تُثمِر في السَّنة إِلَّا مرة واحدة، وإِذا حصَّل المرءُ ثمارها فمن الحكمة أَلَّا يتردَّد إِليها حتى تُثمر مرةً أُخرى في العام القَابِل، ويدعو في البيت الثَّاني إِلى عدم المخاطرة بالنَّفس في طلب الرِّزق الوفير، والاكتفاء بالقليل مع وفور السَّلامة.

ومن باب صناعة الأَمثال بالتَّأليف الحرِّ قول الحارث بن همام يصفُ حال أَبي زيدٍ بعد أَنْ أَهدى إِليه التَّاجر صحاف الذَّهب: ((فوثَبَ في الجواب، وشَكَرَه شُكرَ الرَّوضِ للسَّحابِ))[3]، فهذا التَّعبير من ابتكار الحريريّ، ويصلح للاستعمال في التَّعبير عن الشُّكر العظيم على العطاء الكبير، فالرَّوض يشكر السَّحاب حين يجود بالمطر فيسقيه، وهو شكر مجازيٌّ يظهر في تألُّق النَّبت وتفتُّح الأَزهار.

ومن ذلكَ قوله على لسان السَّرُوجِيّ: ((إِنَّ النُّعاسَ قد أَمالَ الأَعناقَ، وراوَدَ الآماقَ، وهو خصمٌ أَلَدُّ، وخِطبٌ لا يُرَدُّ، فصِلُوا حَبلَهُ بالقَيلُولةِ، واقتَدُوا فيه بالآثارِ المَنقولةِ))[4].

---

(١) مقامات الحريريّ: ١٢٤.

(٢) مقامات الحريريّ: ١٦٠، والبيت من البحر المتقارب.

(٣) مقامات الحريريّ: ١٨٣.

(٤) مقامات الحريريّ: ١٨٩. راوَدَ: طالَبَ. والآماق: العيون، وأَصل المُؤق طرف العين من جهة الأَنف. والخِطب: مَن يخطب المرأة، والقيلولة: الرُّقاد في وقت الحرِّ من الظَّهيرة. يُنظر: شرح مقامات الحريريّ- الشُّريشيُّ: ٣٧٩/٢.

فالتَّعابير في هذا المقطع من ابتكار الحريريِّ، وهي تصلح أَنْ تُستَعمَل استعمال الأَمثال في وصف النُّعاس، والاستعداد له، والتَّعامل معه، وقد صنعها الحريريُّ بطريقة التَّأليف الحرِّ، من غير اعتماد على الأَمثال المحفوظة.

المبحثُ الثَّالثُ

الخصائصُ الأُسلوبيَّةُ للأَمثالِ المصنوعةِ

تنماز الأَمثال المصنوعة عند الحريريّ بجملة من الخصائص الأُسلوبيَّة، كالإيجاز، واعتماد الصُّور البيانيَّة، والمحسِّنات البديعيَّة وغير ذلكَ، ولهذه الخصائص أَثَرٌ واضحٌ في شُيوع هذه الأَمثال وانتشارها بين النَّاس.

١- الإيجازُ:

يُعَدُّ الإيجاز من الأُسس المهمة الَّتِي يقوم عليها أُسلوب المقامات، وهو نوعان؛ إيجازُ قِصرٍ، وإيجازُ حَذفٍ، فإيجاز القصر هو: تقليل الأَلفاظ وتكثير المعاني من غير حذف، نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[١]، فقد اشتملت الأَلفاظ الثَّلاثة على أَمر الرِّسالة وشرائعها وأَحكامها وآدابها على وجه الاستقصاء[٢].

وأَمَّا إيجاز الحذف، فهو: إسقاط جزء من الكلام؛ لدلالة السِّياق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾[٣]، أَي: أَهلَها[٤].

والإيجاز بنوعيه من أَهمّ الخصائص الَّتِي تنماز بها الأَمثال المصنوعة في المقامات، ومن ذلكَ قول الحريريّ على لسان السَّرُوجِيّ وهو يُلقِّن ابنَه أُصول الطَّريقة السَّاسانيَّة: ((فقد كان مكتوبًا على عَصا شَيخِنا ساسانَ: مَن طَلَبَ جَلَبَ، ومَن جالَ نالَ))[٥].

ففي هذا القول صنع الحريريُّ مَثَلَين؛ الأَوَّل: ((مَن طَلَبَ جَلَبَ))، ومعنى طَلَب: ابتغى هدفًا[٦]، وجَلَبَ: تحرَّكَ وصرخ[٧]، أَي: مَن سَعى إلى هدف لا بدَّ له من الحركة والضَّجيج.

---

(١) سورة الحِجْر، من الآية: ٩٤.

(٢) يُنظر: كتاب الصَّناعتين: ١٧٥-١٧٦، وسرُّ الفصاحة: ٢١١، والكليات: ١٨٢، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٢٩١/١.

(٣) سورة يُوسف، من الآية: ٨٢.

(٤) يُنظر: كتاب الصَّناعتين: ١٨١، وسرُّ الفصاحة: ٢١١، والكليات: ١٨٢، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٢٩١/١.

(٥) مقامات الحريريّ: ٥٣٩.

(٦) يُنظر: لسان العرب، (طلب): ٦٥١/١.

(٧) يُنظر: لسان العرب، (جلب): ٣١٨/١.

وهذا المثل فيه إيجاز حذف يتمثَّل في حذف مفعول (طَلَب)؛ لنقله من الخصوص إلى العموم[1]، كما أَنَّ فيه مجازَ قِصرٍ؛ إذ عبَّر بكلمتين عن نصيحة عامَّة تشمل كثيرًا من أُمور الحياة، لا سيَّما بلوغ الأَهداف.

والمثل الثَّاني: هو قوله: ((مَن جالَ نالَ))، أَي: مَن تَصرَّفَ ومَشى في البلاد أَدرك حاجته ونال مُبتغاه، وفيه حذَف مفعول (نالَ)، فانتقل الفعل من الخصوص إلى العموم[2]، وهذا من مجاز الحذف، كما أَنَّه دلَّ بكلمتين على أُمور كثيرة تتعلق بِمَا يحتاج إليه بلوغ الغايات والأَهداف من السَّير والتَّحرُّكِ و إِعداد العدة، وهذا من مجاز القصر.

وقد تحقَّق للحريريّ ما أَرادَهُ، فسار المثلان، حَتَّى إِنَّ المثل الثَّاني ضمَّنَه الميدانيُّ (ت٥١٨هـ) في كتابَه «مجمع الأَمثال»[3]، وكان معاصرًا للحريريّ.

وتجدر الإِشارة إلى أَنَّ مثل هذه الأَمثال المصنوعة تلتقي أَحيانًا من حيث المضمون مع أَمثال أُخرى، يتناقلَهَا النَّاسُ في مختلف العصور، وهذا الأَمر لا يُلغي جهدَ الحريريّ في صناعة الأَمثال؛ لِأَنَّ المعوَّل عليه الأُسلوب والسِّياق أَكثر من المعنى والمضمون، وقد حوت مصنفات الأَمثال كثيرًا من الأَمثال الَّتِي تتلاقى في المضمون، ولم يحكموا عليها بالتَّأثر، ما دام اللَّفظ والسِّياق مختلفين.

ومن الأَمثال المصنوعة الَّتِي تتصف بالإِيجاز الشَّديد قوله على لسان السَّرُوجِيّ لراويته الحارث بن همام، وقد أَخذ فروَته في أَحد مواقف الحيل والمكر، مُدعِيًا أَنَّ ما أَعطاه من فوائد فكريَّة تفوق قيمة الفروة وفائدتها: ((لَجَوابٌ يَشفي خيرٌ مِنْ جِلبَابٍ يُدْفِي))[4].

ومثل هذا القول يصلح للتَّمثل به على سبيل التَّندُّر والمزاح، ففيه لطافة وطرافة، مع أَنَّه لا يقوم على أَساسٍ منطقيّ.

وفي المقامة نفسها قال الحريريُّ على لسان الحارث بن همام، وقد غادره السَّرُوجِيُّ، فائزًا بالفروة: ((وقدْ ذهَبَتْ فَرْوَتِي لِشِقْوَتِي))[5].

فهذا القول أَيضًا يصلح للتَّمثل به في المواقف الَّتِي يجني فيها الإِنسان على نفسه فيخسر، وهو مِنْ إِيجاز القِصر، وليس فيه حذفٌ من ناحية الصِّناعة النَّحويَّة، فقد جمع معاني متكاثرة، ومدلوله: خسرتُ فروتي بذهابها إِليه، وهذا من سوءِ حظِّي الَّذِي أَدَّاني إِلى الشَّقاء.

---

(١) يُنظر: مفردات أَلفاظ القرآن، الباء: ١٦١، ومعاني النَّحو: ٨٢/٢-٨٣.

(٢) مقامات الحريريّ: ٥٣٩.

(٣) مجمع الأَمثال: ٣٢٨/٢.

(٤) مقامات الحريريّ: ٢٥٥.

(٥) مقامات الحريريّ: ٢٥٥.

ومع أَنَّ المضمون مطروق في الأَمثال، إِلَّا أَنَّ إِبداع الحريريّ يتجلَّى في السِّياق والأَلفاظ، وما في أُسلوبه من إِيجاز وطرافة.

ومن الأَمثال الَّتِي ابتكرها الحريريُّ قوله على لسان السَّرُوجِيّ، وقد اكتشف حيَلَهُ الحارثُ بن الهمام، إِذ ادَّعى أَنَّه خطيب، وأَلقى خطبة فريدة، ثُمَّ ذهب في اللَّيل يحتسي الخمر، مخالفًا باطنه ما عليه ظاهره، قال: ((مَهْ أَنا بالنَّهارِ خطيبٌ، وباللَّيْلِ أَطِيْبُ))[1]، يعني أَنَّ ظاهره غير باطنه، فهو يخطب وقت الموعظة، ويحتسي الخمر في وقت السُّرور، وهذا أَيضًا من إِيجاز القِصر، والمراد: أَنا في وقت النَّهار حين أَكون بين النَّاس الَّذِين يعرفونني أَكون كالخطيب؛ إِذ إِنَّ شغله الشَّاغل هو الوعظ، وفي اللَّيل حين أَختفي عن النَّاس أَفعلُ كلَّ ما تطيبُ به نفسي، فليس في المثل محذوف يُمكنُ تعيينه.

وهذا المعنى وإِنْ كان مطروقًا، لكن يبقى للحريريّ إِبداعه في الصِّياغة واختيار الأَلفاظ، وربط كلِّ ذلكَ بحكاية المقامة.

وممَّا تفرَّد الحريريُّ بصناعته قوله على لسان الحارثِ بن همام، منتقدًا السَّرُوجِيَّ؛ لِأَنَّه تنكَّر للصَّداقة الَّتِي تربطهما: ((لِبْسَ الصَّفَاقَةَ وخلعَ الصَّداقَةَ))[2].

فهذا القول يصلح للتَّمثُّل به، وهو يتصف بالإِيجاز، وهو من إِيجاز القِصر أَيضًا، ويرتبط بحكاية المقامة، وللحريريّ فضل إِبداعه وابتكاره.

كانت هذه بعض الأَمثلة من المقامات على الأَمثال المصنوعة الَّتِي ابتكرها الحريريُّ، الَّتِي تتصف بالإِيجاز، علمًا أَنَّ الإِيجاز بنوعيه من أَهم الأُسس التَّعبيريَّة الَّتِي يقوم عليها أُسلوب المقامات عامَّة، والأَمثال خاصة.

٢- اقتباس الأَلفاظِ مِنَ الأَمثالِ السَّائرة:

من أَهمّ ما تنماز به صناعة الأَمثال عند الحريريّ أَنَّه يعمد أَحيانًا إِلى المثل المشهور، فيقتبس منه بعض الأَلفاظ، ويُدخِلها في علاقات إِسناديَّة مع كلام من إِنشائه، فيُنتِجُ من ذلكَ تعبيرًا مُبتكَرًا، يرقى إِلى مستوى الأَمثال السَّائرة، من جهة قوَّة المعنى، وشُيوع الأَلفاظ، والرَّبط التَّعبيريّ بين المثل السَّائر والمثل المصنوع.

ومن قبيل اقتباس الأَلفاظ من الأَمثال المشهورة قوله على لسان الحارث بن همام: ((فقلتُ لأَبي زيدٍ: ما أَظنَّهُ استَحْضَرَني، إِلَّا ليَستَخبِرَني. فماذا أَقولُ؟ وفي أَيّ وادٍ معَهُ أَجولُ؟))[3]، ففي هذا القول اقتبس

(١) مقامات الحريريّ: ٢٨٥.

(٢) مقامات الحريريّ: ٣٠٠. والصَّفاقَة: الوقاحَة. يُنظر: لسان العرب، (سفق): ١٩٠/١٠.

(٣) مقامات الحريريّ: ٢٣٣.

الحريريُّ بعض الأَلفاظ من الآية الكريمة الَّتِي تصف حال الشُّعراء، وتجري مجرى الأَمثال، وهي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾[1]، ثُمَّ بنى سياقًا خاصًّا منها، وممَّا زاده، ثُمَّ أَرسله؛ ليكون بين الأَمثال قوله: ((فماذا أَقولُ؟ وفي أَيِّ وادٍ معَهُ أَجولُ؟)).

ومن الأَمثلة على صناعة الأَمثال، باقتباس الأَلفاظ من الأَمثال السَّائرة، قوله على لسان أَبي زيدٍ يشكو من زوجته: ((فأَنا منها نِضْوُ وَجَى، وحِلْفُ شجْوٍ وشجَى))[2]، أَي: هزيل من جفائها، وصاحب هم وحُزن.

ففي هذا التَّعبير اقتبس الحريريُّ أَلفاظًا من عدة أَمثال، منها قولهم: ((إِنْ يَدْمَ أَظَلُّكَ فقد نَقِبَ خُفِّي ...، أَي: أَنا في حال تُشبِه ما تشكو منه))[3]، وقولهم: ((بعيرٌ نِضوُ أَسفارٍ، أَي: هزيل؛ لملازمته السَّفر))[4]، وقولهم: ((لا تَبعَثِ المُهرَ على وَجاهُ، أَي: على ما فيه من ضعف))[5]، وقولهم: ((أَشجَى مِن حمامة))[6]، وقولهم: ((ويلٌ للشَّجِيِّ مِن الخَلِيِّ))[7]، أَي: يَضيق الحزين ذرعًا بِمَن كان باله خاليًا من الهموم.

فالحريريُّ اقتبس أَلفاظه من هذه الأَمثال، وأَلَّف منها قوله السَّابق، الَّذِي يجري مَجْرَى الأَمثال، مستفيدًا من شُيوع الأَلفاظ المقتبسة، وارتباطها بمثل سائر، مع ما له من حكاية محفوظة، وخصائص تعبيريَّة.

ومن الأَمثلة على اقتباس الأَلفاظ من الأَمثال السَّائرة، وما يجري مَجْرَاها، قوله على لسان الحارث بن همام: ((ثُمَّ انشَعَبْنا في كلِّ مَشعَبٍ، وذَهَبنا تحتَ كلِّ كوكَبٍ))[8]، ففي هذا القول جمعَ الحريريُّ بين مثلين؛ أَوَّلهما من إنشائه وصناعته، وهو قوله: ((ثُمَّ انشَعَبْنا في كلِّ مَشعَبٍ))، وهذا القول اعتمد الحريريُّ في إنشائه على مضمون الآية الكريمة: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[9]، كما اعتمد على اقتباس أَلفاظ من مَثَلٍ سائر، وهو قولهم: ((شَعَبَتْ قَومي شَعوبٌ، أَي: فرَّقَتهم المنية))[10].

---

(١) سورة الشُّعراء، الآية: ٢٢٥.

(٢) مقامات الحريريّ: ٤١٨. و((نِضْوُ وَجَى))، أَي: هزيل بسبب جفاء امرأته وشرّها، ونِضوُ الشَّيء: ملازمُه. يُنظر: لسان العرب، (نضا): ٣٨٥/١٥. والوجى: أَصله وجع يُصيب الفرس في حافره. يُنظر: لسان العرب، (وجا): ٤٤٢/١٥. وحِلفُ شَجوٍ، أَي: صاحب حُزن، والشَّجى: الاختناق بالعَظم. يُنظر: لسان العرب، (شجا): ٥١٩/١٤.

(٣) مجمع الأَمثال: ٢١/١ (بتصرف). والأَظَلُّ: ما تَحتَ مَنسِم البعير. يُنظر: لسان العرب، (ضلل):٥٠٢/١١.

(٤) لسان العرب، (نضا): ٣٨٥/١٥ (بتصرف).

(٥) مجمع الأَمثال: ٢٤٣/٢ (بتصرف).

(٦) مجمع الأَمثال: ٣٩١/١.

(٧) المستقصى في أَمثال العرب: ٣٣٨/٢ (بتصرف).

(٨) مقامات الحريريّ: ٤٨١.

(٩) سورة الأَنعام، من الآية: ١٥٣.

(١٠) مجمع الأَمثال: ٣٧٠/١ (بتصرف).

أَمَّا التَّعبير الثَّاني: وهو ((ذَهَبنا تحتَ كلِّ كوكَبٍ))[١]، فهو مثل مشهور، أَورده الحريريُّ كما هو، على سبيل الاقتباس والتَّضمين، إذ يقولون في أَمثالهم: ذهبُوا تحتَ كلِّ كوكَبٍ، إذا تفرَّقوا[٢].

إذًا فاقتباس الأَلفاظ من الأَمثال المشهورة، واستعمالها في صوغ الأَمثال المصنوعة، من الخصائص الَّتِي تتَّصف بها صناعة الأَمثال عند الحريريِّ، وهذه الميزة تكون في الغالب مصحوبة بصور بيانيَّة، ومحسِّنات بديعيَّة، كما سيظهر بعد قليل.

٣- موافقةُ قواعدَ اللُّغةِ:

من المعلوم أَنَّ سياق الأَمثال السَّائرة قد يُخالف قواعد اللُّغة؛ لِأَنَّها نشأت من حكاية خاصة، واستُعملت فيما يُشبهها بتغيير، ومن ذلكَ قولهم: الصَّيفَ ضيَّعتِ اللَّبَنَ، إذ يُستَعمَل هذا المثل على حاله مع المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنَّث؛ لِأَنَّه جاء عن العرب مَحكِيًّا بهذه الصِّيغة الَّتِي تُناسب المؤنثة المخاطبة[٣].

أَمَّا في المقامات فالحريريُّ قد تحرَّى أَعلى درجات الفصاحة، وموافقة قواعد اللُّغة، فضلًا عن أَنَّ اهتمامه بالصَّنعة البيانيَّة والبديعيَّة قد ضَمِن له أَنْ يُحافظ الرُّواة ومَن يتداولون المقامات على السِّياق بلا تغيير؛ لِأَنَّهم لا يستطيعون التَّصرُّف في عبارتها؛ لعجزهم عن مجاراة أُسلوب الحريريّ، أَمَّا التَّغييرات البسيطة كمطابقة الضَّمير للمخاطبين مثلًا فلا بأس به؛ لِأَنَّ ذلكَ مسموح به في الأَمثال المصنوعة، وغير مسموح به في الأَمثال السَّائرة الموروثة عن العرب.

وموافقة قواعد اللُّغة لا تحتاج إلى استشهاد عليها؛ لِأَنَّها مسألة ثابتة في المقامات من أَوَّلها إلى آخرها، لكن لا بأس بعرض شيءٍ من ذلك لمذاكرة المثل المصنوع واكتسابه، لا لنقده وإعرابه.

فمن الأَمثال المصنوعة قول الحريريّ: ((ليسَ مِنَ العَدلِ سُرعَةُ العَذل، فلا تعجَلْ بلومٍ هو ظُلم، ولا تَقفُ ما لَيسَ لك به عِلمٌ))[٤].

فموافقة قواعد اللُّغة واضحة في هذا النَّصِّ، الَّذِي يتألف من ثلاثة تعابير؛ الأَوَّل مثل سائر مشهور، كما ورد بأَلفاظه[٥]، والثَّاني من ابتكار الحريريّ، وعبارته على درجة من السَّلاسة والإيجاز فيصلح أَنْ يكون

(١) مجمع الأَمثال: ٢٨٢/١ (بتصرف).

(٢) يُنظر: مجمع الأَمثال: ٢٨٢/١.

(٣) يُنظر: جمهرة الأَمثال: ٧/٢، وخزانة الأَدب ولبُّ لسان العرب: ١٠٥/٤. وأَصل المثل أَنَّ امرأة تزوَّجت من شيخ كبير، ثُمَّ كرهته فطلبت منه الطَّلاق، فطلَّقها وتزوَّجت شابًّا فقيرًا، فطلبت من زوجها السَّابق لبنًا، فقال لها: الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللَّبَنَ، أَي: في الصَّيف، وهو الوقت الَّذِي طلقها فيه، يعني ضاع من يدها اللَّبن منذُ طلَّقها في الصَّيف.

(٤) مقامات الحريريّ: ٢٥٣.

(٥) يُنظر: الأَمثال- ابن سلَّام: ٢٦٧، ومجمع الأَمثال: ١٩٥/٢.

من الأَمثال المصنوعة، والتَّعبير الثالث هو اقتباس لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1]، الَّذِي يجري مَجْرَى الأَمثال.

فالأَمثال المصنوعة عند الحريريّ توافق قواعد اللُّغة تمامًا، على حين أَنَّ الأَمثال السَّائرة المأثورة عن العرب قد لا يُوافق بعضُها القواعد؛ لِأَنَّها مرتبطة بحكايات خاصة، نقلها الرُّواة كما هي بلا تغيير.

٤- الخصائصُ البيانيَّةُ:

ينماز أُسلوب المقامات عامَّةً بغناه بالصُّور البيانيَّة، كالتَّشبيه والاستعارة والكناية، الَّتِي تُضفي على التَّعابير لمسات محبَّبة من الأَلوان والمشاهد والخيال.

وقد عمل الحريريُّ على توظيف المزايا البيانيَّة في صناعة الأَمثال؛ إِذ وشَّحها بالصُّور المختلفة، الَّتِي أَكسبتها جمالًا في التَّعبير والتَّأثير، ومنحتها مفاتيح الشُّيوع والانتشار والقبول بين النَّاس.

ومن أَمثلة الصُّور البيانيَّة في الأَمثال المصنوعة قوله على لسان الحارث بن همام متحدِّثًا عن السَّرُوجِيّ: ((غَشِيَنا أَبو زيدٍ لابِسًا جِلدَ النَّمِرِ، وهاجِمًا هجومَ السَّيلِ المُنْهَمِرِ، فخِفتُ واللهِ أَنْ يكونَ يَومُهُ كأَمسِهِ، وبَدْرُهُ مثلَ شَمسِهِ))[2]، فهذا القول يتألَّف من أَربعة تعابير، تضمَّن كلٌّ منها مثلًا مصنوعًا، وشَّاهُ الحريريُّ بصور بيانيَّة، أَكسبته جمال الأُسلوب والقبول بين النَّاس.

فقوله: ((لابِسًا جِلدَ النَّمِرِ))، كناية عن القوَّة والهيجان والطَّيش، أَي إِنَّه يُشبِه النَّمر في طباعه وتوحُّشه، وقوله: ((هاجِمًا هجومَ السَّيلِ المُنْهَمِرِ))، تشبيه بليغ؛ إِذ شبَّه هجوم أَبي زيدٍ بانصباب السَّيل في السُّرعة، وحذف الأَداة ووجه الشَّبه، فالتَّشبيه بليغ، وقوله: ((فخِفتُ واللهِ أَنْ يكونَ يومُهُ كأَمسِهِ))، فيه تشبيه اليوم بالأَمس، مع ذِكر أَداة التَّشبيه وحذف وجه الشَّبه، فهو تشبيه مُجمَل، وقوله: ((وبَدْرُهُ مثلَ شَمسِهِ))، تشبيه مُجمَل؛ إِذ شبَّه البدر بالشَّمس، مع ذِكر الأَداة وحذف وجه الشَّبه، والبدر والشَّمس استعارهما الحريريُّ على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة؛ للتَّعبير عن أَفعال أَبي زيدٍ السَّابقة واللَّاحقة.

فالصُّور البيانيَّة، كما يتَّضح، هي من أَهمِّ الأُسس الَّتِي تقوم عليها صناعة الأَمثال في المقامات، وتجدر الإِشارة في هذا الشَّأن إِلى أَنَّ الحريريَّ استثمر الأَمثال السَّائرة في بناء صور فنية لأَمثاله المصنوعة، فكان هذا الصَّنيع من الأَسباب المهمة لذيوع المثل المصنوع وانتشاره.

ومن أَمثلة ذلكَ قوله في المقامة السِّنْجاريَّة، يصفُ تباعُد أَبي زيدٍ السَّرُوجِيّ عن المائدة العظيمة الَّتِي صنعها أَحد التُّجار: ((نَشَزَ أَبو زَيدٍ كالمَجنُونِ، وتَباعَدَ عنهُ تَباعُدَ الضَّبِّ مِنَ النُّونِ، فراوَدْناهُ على أَنْ يَعُودَ،

(١) سورة الإِسراء، من الآية: ٣٦.

(٢) مقامات الحريريّ: ٢٧٤.

وأَلَّا يَكُونَ كقُدارٍ في ثَمُودَ))[1].

ونَشَزَ: وثبَ وتنحَّى[2]، والنُّون: الحوت، وقُدار: عاقرُ ناقةِ صالح (عليه السلام)، وثَمُود: القوم الَّذِين بُعِث فيهم صالح (عليه السلام).

في هذا القول أَورد الحريريُّ مثلَين؛ الأَوَّل أَصله: جَمَعَ بين الضَّبِّ والنُّون، والضَّبُّ: حيوان معروف يُلازم الصَّحراء، والنُّون: الحوت، وهو يعيش في البحر، فالمثل يُستعمل في استحالة الجمع بين المتضادات[3].

والمثل الثَّاني أَصله: أَشأمُ مِن قُدار، وهو الَّذِي عقر ناقة صالح (عليه السلام)، وكان سببًا في هلاك قومه[4].

وفي قول الحريريّ: ((وتَباعَدَ عنهُ تَباعُدَ الضَّبِّ مِنَ النُّونِ))، تشبيه بليغ، إذ شبَّه تباعد أَبي زيدٍ عن الطَّعام بتباعد الضَّبِّ عن الحوتِ، وحذف الأَداة ووجه الشَّبه، وجعل المشبَّه به صورةً مأخوذة من مثل سائر، أَضافها للتَّعبير الَّذِي أَلَّفَه، وأَرسله بين النَّاس؛ ليجري مَجْرَى الأَمثال.

وأَمَّا قوله: ((فراوَدْناهُ على أَنْ يَعُودَ، وأَلَّا يَكُونَ كقُدارٍ في ثَمُودَ))، فهو تشبيه مجمل؛ إذ شبَّه حال أَبي زيدٍ مع أَصحابه، بحال قدار مع قومه ثمود، وحذف وجه الشَّبه وهو الشُّؤم، على سبيل التَّشبيه المجمل، فالمشبَّه به شخصية مشهورة يتداولها النَّاس في أَمثالهم، أَضافها الحريريُّ إِلى كلامه، وأَنتج بذلكَ تعبيرًا متميِّزًا، يجري مَجْرَى الأَمثال.

فالحريريُّ إِذًا أَفاد من كلِّ المزايا البيانيَّة في صناعة أَمثاله، كالتَّشبيه والاستعارة والكناية، ولم يقف عند ذلكَ، بل عمد أَحيانًا إِلى بعض الأَمثال السَّائرة، فجعلها طرفًا من أَطراف التَّصوير؛ ليضمن لأَمثاله الشُّيوع والقبول بين النَّاس.

٥- الخصائصُ البديعيَّةُ:

تُعدُّ الصَّنعةُ البديعيَّةُ الأَساسَ الَّذِي يقوم عليه فنُّ المقامات، وتستند هذه الصَّنعة إِلى الإِكثار من الأَلوان البديعيَّة، إِلى درجة أَنْ يغدو الاهتمام بالشَّكل غاية في حدِّ نفسها، ومطلبًا جوهريًّا يسعى وراءه الأَديب.

والمقامات في الأَصل تقوم على السَّجع، الَّذِي لا بدَّ منه في عمل المقامات، أَمَّا الأَلوان البديعيَّة الأُخرى، كالجناس والطِّباق والمقابلة وغيرها، فالكاتب يتناول منها بحسب مهارته ورؤيته.

---

(١) مقامات الحريريّ: ١٧٢.

(٢) يُنظر: لسان العرب، (نشز): ٤٨٤/٥.

(٣) يُنظر: زَهر الأَكم في الأَمثال والحكم: ٥٠/٢.

(٤) يُنظر: مجمع الأَمثال: ٣٧٩/١.

ومقامات الحريريّ، كما هو معروف، بلغت الذُّروة في الإتقان والإحكام والجودة، وهي غنية بالأَساليب البلاغيَّة، ومنها الصَّنعة البديعيَّة، الَّتِي اعتمدها الحريريُّ بطبيعة الحال في صناعة الأَمثال وإرسالها بين النَّاس، نظرًا إلى أَنَّها تُكسِبُ الكلام مزايا أُسلوبيَّة كثيرة، تجعل النَّفس تميل إليه، وتتلقاه بعين الرِّضا والاستحسان، فيعلق في الأَذهان، وينفتق به اللِّسان، وينساب في أَحاديث النَّاس وكتاباتهم.

ومن الأَمثلة على ما تتصف به الأَمثال المصنوعة في المقامات، من أَلوان بديعيَّة، قول الحريريّ على لسان أَبي زيدٍ، وهو يُحاوِر غلامًا من البلغاء: ((قال: أَيُباعُ ههنا الرُّطَبُ بالخُطَب؟ قال: لا واللهِ. قال: ولا البَلَحُ بالمُلَحِ؟ قال: كلا واللهِ. قال: ولا التَّمَرُ بالسَّمَرِ؟ قال: هيهاتَ واللهِ. قال: ولا العَصائِدُ بالقَصائِدِ؟ قال: اسكُتْ عافاكَ الله. قال: ولا الثَّرائدُ بالفَرائِدِ؟ قال: أَينَ يُذهَبُ بكَ عافاكَ اللهُ؟ قال: ولا الدَّقيقُ بالمعنى الدَّقيقِ؟ قالَ: عَدِّ عن هذا أَصلَحَكَ اللهُ))[1].

ففي هذا الموضع ابتكرَ الحريريُّ جملةً من التَّعابير، الَّتِي تجري مَجْرَى الأَمثال، في التَّعبير عن كساد الأَدب عند أَهل كلِّ زمان، وخيبة أَهله، وضياعِ مسعاهم في تحصيله، وهذه التَّعابير يستطيع أَنْ يستعملها الأُدباء والخطباء، مع ما يشاؤونه من تغيير بحسب المقام والسِّياق، وما كان لها أَنْ تسير على الأَلسنة لولا ما فيها من المحسنات البديعيَّة، الَّتِي أَكسبتها إيقاعًا موسيقيًّا مُحَبَّبًا.

وتتمثَّل الأَلوان البديعيَّة هنا بالجناس والسَّجع المتوازن.

فالجناس هو: اتفاق اللَّفظين في النُّطق، مع اختلافهما في المعنى، وهو قسمان: تام وناقص، ولكلٍّ منهما أَنواع كثيرة لا تسمح طبيعة البحث بتناولها وعرضها[2].

وفي المقطع السَّابق جعل الحريريُّ قرائن السَّجع، الَّذِي هو أَهمُّ أُسس بناء المقامة، كلمتين، تحقَّق بينهما الجناس النَّاقص على النَّحو: (الرُّطَب والخُطَب، والبَلَح والمُلَح، والثَّمَر والسَّمَر، والعَصائِد والقَصائِد، والثَّرائد والفَرائِد)، إذ اختلفت كلُّ كلمتين بحرف واحد فقط، كما تحقَّق الجناس التَّام في قوله: ((ولا الدَّقيقُ بالمعنى الدَّقيقِ)).

وللجناس مزايا لفظيَّة وأُخرى دلاليَّة، إذ إنَّ تماثل الحروف يؤدِّي إلى نشوء إيقاعٍ موسيقيٍّ، عماده التَّناظر بين الأَصوات الَّتِي تتألف منها الكلمتان المتجانستان، كما أَنَّه يُؤدِّي من النَّاحية الدَّلاليَّة

(١) مقامات الحريريّ: ٤٦٥. والمُلَح: النَّوادر. يُنظر: لسان العرب، (ملح): ٧١٦/٢. والسَّمر: السَّهر باللَّيل على الأَحاديث. يُنظر: لسان العرب، (سمر): ٤٣٥/٤. والعَصائد: جمع عصيدة، وهي الحلوى. يُنظر: لسان العرب، (عصد): ٣٥٧/٣. والثَّرائد: جمع ثريدة، وهي رغيف الخبز. يُنظر: لسان العرب، (ثرد): ١٢٤/٣. والفرائد: النَّوادر الَّتِي لا نظير لها. يُنظر: لسان العرب، (فرد): ٤٠٨/٣. والدَّقيق: الطَّحين. يُنظر: لسان العرب، (دقق): ١٢١/١٠. والمعنى الدَّقيق: اللَّطيف البليغ. يُنظر: لسان العرب، (دقق): ١٢١/١٠.

(٢) يُنظر: الكليات: ٢٢٩، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٥٨٨/١، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٣٢٥.

إلى التَّقريب بين اللَّفظين المتباعدين، إذ يبدو أَحدهما شبيهًا بالآخر، وكأَنَّهما من أَصل واحد، ولهما حكم واحد.

فضلًا عمَّا سبَق أَنَّ جناس الاشتقاق لا سيَّما الَّـذِي يشترك وفقه اللَّفظان في الأَحرف الأَصليَّة[١]، يتحقَّق فيه التَّقريب بين اللَّفظين المتباعدين، فضلًا عن تعلُّق النَّفس به؛ لطرافته وغرابته، ومن أَمثلته قول الحريريّ على لسان الغلام الَّذِي حاوره أَبو زيدٍ: ((أَمَّا بهذا المكانِ فلا يُشتَرى الشِّعرُ بشَعيرة، ولا النَّثرُ بِنُثارة ...))[٢].

فالشَّعيرة هي: حبة الشَّعير، وبينها وبين الشِّعر جناس اشتقاق؛ لاشتراكهما في الأَحرف الأَصليَّة، واختلاف مادَّتهما من حيث الدَّلالة، وكذلك بين النَّثر والنُّثارة، وهذا الأُسلوب يُتيح للتَّعبير الشُّيوع على الأَلسنة؛ لطرافته وغرابته، وهو من التَّقنيات البديعيَّة الَّتِي اعتمدها الحريريُّ في صناعة الأَمثال.

أَمَّا السَّجع فهو: تواطُؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد[٣]، وله أَنواع ومزايا مبسوطة في كتب البلاغة لا تسمح طبيعة البحث بالتَّفصيل فيها[٤].

وفي المقطع السَّابق جعلَ الحريريُّ كلَّ كلمةٍ فاصلة، ولم يقتصر في تحقيق التَّوافق بين كلِّ كلمتين في الحرف الأَخير، كما يُشترَط في السَّجع، بل حقَّقه في أَغلب الحروف، حتى أَصبح بين كلِّ كلمتين جناس ناقص، وهذا في السَّجع من باب لزوم ما لا يلزم، فضلًا عن ذلكَ جعلَ كلَّ كلمة على وزن قرينتها من النَّاحية الصَّرفيَّة، وهذا يُسمِّيه علماء البديع بالموازنة[٥].

ويلحظ أَنَّ التَّماثل في الوزن الصَّرفيّ والحرف الأَخير، بل في معظم الحروف أَيضًا، وكلُّ ذلكَ ولَّدَ إيقاعًا موسيقيًّا محبَّبًا، كما أَسهم، من النَّاحية الدَّلاليَّة، في التَّقريب بين الأَلفاظ المتباعدة كـ(العصائد والقصائد) وغيرها، إذ يُوحي السِّياق بِأَنَّ كلَّ قرينتين تعودان إلى معنًى مشترك.

فالمحسِّنات البديعيَّة في هذا المقطع هي الأَساس الَّـذِي اعتمده الحريريُّ في ابتكار تعابير تجري مَجْرَى الأَمثال؛ لكونها من الأُسس الَّتِي يقوم عليها التَّعبير الفنيُّ، وتكون سببًا؛ لقَبوله وشُيوعه بين النَّاس.

---

(١) يُنظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٢١٠/١.

(٢) المقامات: ٤٦٦. والنُّثارة: ما يتناثر من الشَّيء إذا تفتَّتَ. يُنظر: لسان العرب، (نثر): ٢٢٤/٥.

(٣) يُنظر: سرُّ الفصاحة: ١٧١، والمثل السَّائر: ٢١٠/١، والطِّراز لأَسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١٧/٣، وخزانة الأَدب وغاية الأَرب: ٤١١/٢.

(٤) يُنظر: كتاب الصِّناعتين: ٢٦٢، وصبح الأَعشى في صناعة الإنشا: ٣٠٨/٢، والكليات: ٤٢٨.

(٥) يُنظر: الطِّراز لأَسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣٢/٣، والمفصل في علوم البلاغة العربيَّة: ٦٤٦.

الخاتمة

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد المرسلينَ، وعلى آلهِ وصحبهِ أَجمعينَ، وَمَن اتبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

تحدَّثتُ في البحث عن مفهوم الأَمثال، والفرق بينها وبين ما يجري مَجْرَاها من كلام البلغاء، ثُمَّ تكلَّمتُ على الأَمثال في المقامات، وذكرتُ أَنَّها تتوزع بين أَمثال سائرة اقتبسها الحريريُّ ووظَّفها في أُسلوبه، وأَمثال مصنوعة ابتكرها من بناتِ أَفكاره، وأَرسلها بين النَّاس؛ لتجري مَجْرَى الأَمثال، ثُمَّ توقَّفتُ عند التَّقنيات الَّتِي يلجأُ إِليها الحريريُّ في صناعة الأَمثال، وأَخيرًا تحدَّثتُ عن الخصائص الأُسلوبيَّة للأَمثال المصنوعة.

وانتهى البحث إلى النَّتائج الآتية:

١- تُعَدُّ مقامات الحريريّ تحفة فنية رائعة، بلغت الذُّروة من حيث تنوُّع الأَساليب الأَدبيَّة، والغنى بالصُّور البيانيَّة والمحسَّنات البديعيَّة.

٢- من الأَساليب الأَدبيَّة الَّتِي اعتمدها الحريريُّ التَّضمين والاقتباس، إذ ضمَّن مقاماته كثيرًا من الأَمثال السَّائرة والآيات الكريمة والأَحاديث الشَّريفة وبعض الأَشعار.

٣- أَفاد الحريريُّ من الأَمثال السَّائرة أَيَّما فائدة، فأَوردها للاستشهاد أَو تحسين الأُسلوب أَو التَّأسيس للمعاني والصُّور.

٤- إنَّ شدة إعجاب الحريريّ بالأَمثال السَّائرة دفعته إلى النَّسج على منوالها، وابتكار نظائر لها، فصنع كثيرًا من الأَمثال المبتكرة، وأَرسلها بين النَّاس، وهذه الأَمثال هي الَّتِي تناولها البحث، وسُمِّيت فيه بالأَمثال المصنوعة.

٥- اعتمدت صناعة الأَمثال عند الحريريّ على جملة من التَّقنيات اللُّغويَّة والأُسلوبيَّة أَهمها:

أ- أَنْ يَقرِنَ المثلَ المصنوع بمثل مشهور.

ب- ربط المثل المصنوع بحكاية المقامة.

ج- ربط بعض الأَمثال المصنوعة بالنُّصوص والحوادث المشهورة.

د- التَّأليف الحرُّ.

٦- اتَّصفت الأَمثال المصنوعة عند الحريريّ بمجموعة من الخصائص الأُسلوبيَّة، أَهمها:

أ- الإيجاز.

ب- اقتباس بعض الأَلفاظ من الأَمثال السَّائرة.

ج- موافقة قواعد اللُّغة.

ح- الغنى بالصُّور البيانيَّة.

خ- اعتماد المحسِّنات البديعيَّة.

٧- أَلَّفتِ الأَمثال المصنوعة عند الحريريّ ثروة لُغويَّة وأَدبيَّة، استفاد منها الأُدباء بعده، فأدخلوها في أَساليبهم ونصوصهم، وتعاملوا معها كما يتعاملون مع الأَمثال السَّائرة الموروثة عن العرب.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الأَعلام: محمود بن محمد بن علي بن فارس خير الدين الزِّرِكْليُّ (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين- بيروت، ٢٠٠٢م.

٢- الأَمثال: أَبو عبيد بن سلَّام بن عبد الله الهرويُّ (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: د.عبد المجيد قطاش، ط١، دار المأمون للتُّراث- دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٣- أَمثال العرب: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضِّبيُّ (ت نحو١٦٨هـ)، ط١، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٤٢٤هـ.

٤- البدر المنير في تخريج الأَحاديث والآثار الواقعة في الشَّرح الكبير: أَبو حفص عمر بن علي ابن أَحمد الشافعيُّ (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: مصطفى أَبي الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط١، دار الهجرة للنَّشر والتَّوزيع- الرِّياض، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥- البصائر والذَّخائر: أَبو حيان علي بن محمد بن العباس التَّوحيديُّ (ت نحو٤٠٠هـ)، تحقيق: د.وداد القاضيِّ، ط١، دار صادر- بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦- التَّمثيل والمحاضرة: أَبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثَّعالبيُّ (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، الدَّار العربيَّة للكتاب- بيروت، ١٩٨١م.

٧- الجامع الكبير (سنن التِّرمذيِّ): أَبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة التِّرمذيُّ (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، (د.ط)، دار الغرب الإسلاميِّ- بيروت، ١٩٩٨م.

٨- الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أُمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأَيامه (صحيح البخاريِّ): أَبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريُّ (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير النَّاصر، ط١، دار طوق النَّجاة- بيروت، ١٤٢٢هـ.

٩- جمهرة الأَمثال: أَبو هلال الحسن بن عبد الله سهل العسكريُّ (ت٣٩٥هـ)، (د.ط)، دار الفكر- بيروت، (د.ت).

١٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أَحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشميُّ (ت١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د.يوسف الصَّميليِّ، (د.ط)، المكتبة العصريَّة- بيروت، (د.ت).

١١- خزانة الأَدب وغاية الأَرب: أَبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحمويُّ (ت٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ودار البحار- بيروت، ٢٠٠٤م.

١٢- خزانة الأَدب ولُبُّ لباب العرب: عبد القادر بن عمر البغداديُّ (ت١٠٩٣ه)، تحقيق: عبد السَّلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجيّ- القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٣- ديوان أَبي نواس برواية الصُّوليّ: أَبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأَوَّل بن صباح الحكِّميُّ (ت١٩٨هـ)، تحقيق: د.بهجت عبد الغفور الحديثيّ، ط١، هيئة أَبي ظبي للثَّقافة والتُّراث- دار الكتب الوطنيَّة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٤- ديوان النَّابغة الذُّبيانيّ: أَبو أُمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذُّبيانيُّ (ت٦٠٤هـ)، شرح وتقديم: عباس عبد السَّاتر، ط٣، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٥- زَهر الآداب وثمر الأَلباب: أَبو إِسحاق إِبراهيم بن علي بن تميم القيروانيُّ (ت٤٥٣هـ)، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

١٦- زَهر الأَكم في الأَمثال والحكم: أَبو علي الحسن ين مسعود بن محمد نور الدِّين اليُّوسيُّ (ت١١٠٢هـ)، تحقيق: د.محمد حجي، ود.محمد الأَخضر، ط١، الدَّار البيضاء- المغرب، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٧- سرُّ الفصاحة: أَبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجيُّ (ت٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٨- شرح ديوان المتنبيّ: عبد الرَّحمن عبدالرَّحمن سيد أَحمد البرقوقيُّ (١٩٤٤م)، (د.ط)، مؤسسة هنداويّ للتَّعليم والثَّقافة- القاهرة، ٢٠١٢م.

١٩- شرح مقامات الحريريّ: أَبو العباس أَحمد بن عبد المؤمن الشُّريشيُّ (ت٦١٩هـ)، ط١، المكتبة العصريَّة- بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٠- شعر الخوارج: جمع وتقديم: د.إِحسان عباس، ط٣، دار الثَّقافة- بيروت، ١٩٧٤م.

٢١- صبح الأَعشى في صناعة الإِنشا: أَبو العباس أَحمد بن علي القلقشنديُّ (ت٨٢١هـ)، شرح وتحقيق: محمد حسين شمس الدِّين، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٧م.

٢٢- الطِّراز المتضمن لأَسرار البلاغة وعلوم الحقائقالإِعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إِبراهيم العلويُّ اليمنيُّ (ت٧٤٥ه)، تحقيق: الشربينيّ شريدة، (د.ط)، دار الحديث- القاهرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٣- العقد الفريد: أَبو عمر أَحمد بن محمد بن عبد ربه الأَندلسيُّ (ت٣٢٨هـ)، ط١، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٢٤- فصل المقال في شرح كتاب الأَمثال: أَبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكريُّ (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: إِحسان عباس، ط١، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، ١٩٧١م.

٢٥- الفنُّ ومذاهبه في الشِّعر العربيّ: د.شوقي ضيف، ط١١، دار المعارف- القاهرة، (د.ت).

٢٦- الكامل في اللُّغة والأَدب: أَبو العباس محمد بن يزيد للمبرِّد (ت٢٨٦هـ)، تحقيق: د.محمد

أَحمد الدَّالي، ط٥، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٢٧- كتاب الصِّناعتين (الكتابة والشِّعر): أَبو هلال الحسن بن عبد الله سهل العسكريُّ (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاويّ، ومحمد أَبي الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصريَّة- بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٨- الكتاب المصنف في الأَحاديث والآثار: أَبو بكر بن أَبي شيبة عبد الله بن محمد العبسيُّ (ت٢٣٥ه)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، ١٤٠٩هـ.

٢٩- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التَّهانويُّ (ت بعد١١٥٨هـ)، تحقيق: د.علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ١٩٩٦م.

٣٠- الكليات: أَبو البقاء أَيوب بن موسى الحسينيُّ الكفويُّ (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصريّ ، ط٢، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٣١- لسان العرب: أَبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور المصريُّ (ت٧١١هـ)، تحقيق: عامر أَحمد حيدر، ط٢، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٢- المثل السَّائر في أَدب الكاتب والشَّاعر: ضياء الدِّين بن الأَثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أَحمد الحوفيّ، وبدوي طبانة، (د.ط)، دار نهضة مصر- القاهرة، (د.ت).

٣٣- مجمع الأَمثال: أَبو الفضل أَحمد بن محمد بن إبراهيم الميدانيُّ (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد، (د.ط)، دار المعرفة- بيروت، (د.ت).

٣٤- المستقصى في أَمثال العرب: أَبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ)، ط٢، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥- المسند: أَبو بكر عبد الله بن الزُّبير الحميديُّ (ت٢١٩هـ)، تحقيق: حبيب الرَّحمن الأَعظميّ، (د.ط)، دار الكتب العلميَّة، مكتبة المتنبيّ- بيروت، القاهرة، (د.ت).

٣٦- مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد الجوهريُّ (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أَحمد حيدر، ط١، مؤسسة نادر- بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٧- مسند الإمام أَحمد بن حنبل: أَبو عبد الله أَحمد بن محمد بن حنبل الشَّيبانيُّ (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأَرنؤوط، وعادل مرشد وآخرين، ط١، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٨- مسند الشِّهاب: أَبو عبد الله محمد بن جعفر القضاعيُّ (ت٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السَّلفيّ، ط٢، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، ١٤٠٧ه-١٩٨٦م.

٣٩- مسند الدَّارميّ (سنن الدارميّ): أَبو محمد عبد الله بن عبد الرَّحمن السَّمرقنديُّ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أَسد، ط١، دار المغني للنَّشر والتَّوزيع- السُّعوديَّة، ١٤١٢ه- ٢٠٠٠م.

٤٠- المسند الصَّحيح المختصر من السُّنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) (صحيح

مسلم): أَبو الحسن مسلم بن الحجاج النِّيسابوريُّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إِحياء التُّراث العربيّ- بيروت، (د.ت).

٤١- معاني النَّحو: د.فاضل صالح السَّامرائيُّ، ط٢، دار الفكر- عمان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٢- معجم الأُدباء: أَبو عبد الله ياقوت بن عب الله الحمويُّ (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إِحسان عباس، ط١، دار الغرب الإِسلاميُّ- بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٣- مفردات أَلفاظ القرآن: أَبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب الأَصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٥، دار القلم- دمشق، ١٤٣٣هـ-٢٠١١م.

٤٤- المفصل في علوم البلاغة العربيَّة (المعاني، البيان، البديع): د.عيسى العاكوب، ط١، مطبوعات جامعة حلب- سوريا، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٥- مقامات الحريريّ: أَبو محمد القاسم بن علي الحريريُّ (ت٥١٦هـ)، (د.ط)، مطبعة المعارف- بيروت، ١٨٧٣م.

٤٦- نُصرة الثَّائر على المثل السَّائر: خليل بن أَيبك بن عبد الله صلاح الدِّين الصفديُّ (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: محمد علي سلطانيّ، ط١، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة- دمشق، (د.ت).

٤٧- وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزَّمان: أَبو العباس أَحمد بن محمد بن إِبراهيم بن أَبي بكر بن خلِّكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: د.إِحسان عباس، دار صادر- بيروت، (د.ت).